محاضرة مفرّغة

كيف نربّي شبابنا على

الدّعوة إلى الله بالطّريقة المُثلى ؟

فضيلة الشيخ العلامة

محمد أمان بن علي الجامي

كيف نربّي شبابنا على

الدّعوة إلى الله بالطّريقة المُثلى ؟

كَيْفَ نُرَبِّي شَبَابَنَا عَلَى الدَّعْوَةِ إِلَى اللهِ بِالطَّرِيقَةِ الْمُثْلَى

للعلَّامة أبي أحمد محمّد أمان بن علي الجامي

رَحِمَهُ اللهُ **تعالى**

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد له ربّ العالمين والصلاة والسلام علىٰ اشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمّد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين أمّا بعد:

فقد ألقىٰ فضيلة الشّيخ محمّد أمان بن عليّ الجامي المدرّس والموجّه بالحرم النّبويّ محاضرة بعنوان: «كَيْفَ نُرَبِّي شَبَابَنَا عَلَىٰ الدَّعْوَةِ إِلَىٰ اللهِ بِالطَّرِيقَةِ الْمُثْلَىٰ» في مدينة جدّة في الأوّل من شهر جمادىٰ الثّانية لعام 1415هـ وبعد الانتهاء من المحاضرة أجاب فضيلته رَحِمَهُ اللَّهُ علىٰ الأسئلة الواردة إليه، ولمّا كان الوقت لا يستوعب جميع هذه الأسئلة حدّد الشّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ يومًا آخر للإجابة علىٰ هذه الأسئلة وهو يوم السّبت الثّاني من شهر جمادىٰ الثانية لعام 1415 هـ.

ولقد تعرّض الشّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ في هذه المحاضرة إلىٰ الدّعوة السّلفيّة وكيف دعا السّلف إلىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ومَثَّل لذلك بدعوة الإمام أحمد وشيخ الإسلام ابن تيميّة وشيخ الإسلام محمّد بن عبد الوهّاب رحم الله الجميع، ثمّ بيّن رَحِمَهُ اللَّهُ خطورة الانحراف عن منهج السّلف في الدّعوة إلىٰ الله كما حذّر من الجماعات والفرق المعاصرة ومثّل لذلك بالدّعوة السّنوسيّة والدّعوة المهديّة ودعوة الإخوان المسلمين الحزبيّة الصّوفيّة وحذّر أيضًا من أساليب الحزبيّين والحركيّين وطرقهم الملتوية للتّغرير بأبناء المسلمين.

نسأل الله أن يجعل ما قدمه رَحِمَهُ اللَّهُ في ميزان حسناته يوم القيامة.

بسم الله الرّحمن الرّحيم

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيّئات أعمالنا من يهد الله فلا مضل ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أنّ نبينا محمدا عبده ورسوله صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلّم

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ أمّا بعد:

فإنّ أصدق الحديث كتاب الله تعالىٰ وخير الهدي هدي محمّدٍ ﷺ وشرّ الأمور محدثاتها وكلّ محدثةٍ بدعة وكلّ بدعةٍ ضلالة وكلّ ضلالة في النار.

أيّها الإخوة الحضور أحيّيكم بتحيّة الإسلام فسلامُ الله عليكم ورحمته وبركاته. وحديثي معكم في هذه اللّيلة ولعلّكم أو بعضكم اطّلعتم علىٰ العنوان: «كَيْفَ نُرَبِّي شَبَابَنَا عَلَىٰ الدَّعْوَةِ إِلَىٰ اللهِ بِالطَّرِيقَةِ الْمُثْلَىٰ» هذا موضوع الحديث.

أعتبر حديثي معكم في هذه اللّيلة درسًا أُلقيه علىٰ مسامع شبابنا وربّما كرّرت ليحفظوا.

الدعوة إلىٰ الله وظيفةُ الرّسل، وورّث الرّسلُ العلماءَ فهي اليوم واجبُ العلماء الربّانيّين. الدعوة إلىٰ الله واجبٌ علىٰ طائفةٍ معيّنةٍ من النّاس، أهل البصيرة، ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف: ١٠٨]

﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [النحل: ١٢٥]، المؤهَّلون ليجادلوا النّاس بالتي هي أحسن، المؤهَّلون لتقديم الموعظة والدعوة إلىٰ الله علىٰ بصيرةٍ، علىٰ علمٍ ثابتٍ لا يُخالطه شكٌّ، علىٰ علمٍ مأخوذٍ من كتاب ربّنا وسُنّة نبيّنا ﷺ ، الدّعوة إلىٰ الله واجبُ هؤلاء، واجب العلماء الرّبانيّين الذين يعرفون كيف يربّوا الشّباب. أفضل وخير ما يقدّمه العلماء للشّباب: العلم النّافع ثم حثهم علىٰ العمل والتّطبيق، يربّونهم بصغار العلم قبل كباره، و يوجّهونهم ليحفظوا المتون ليدخلوا في طلب العلم من الباب، كما فَعَلَ الأوّلون، إذًا التّربية معناها هنا: الاهتمام

بشؤون الشّباب والعناية بتعليمهم وتغذية أرواحهم بالعلم النّافع وأن يربّىٰ صغار الطّلبة بصغار العلم قبل كباره، هذا معنىٰ التّربية، نريد أن نتحدّث إلىٰ شبابنا بهذا المعنىٰ، إذا أراد طالب العلم أن يطلب العلم فليبدأ بحفظ المتون، يحفظ أوّلًا وقبل كلّ شيءٍ كتابَ الله أو ما يتيسّر منه ويأخذ متنًا أو متنين في السُنّة الأربعين النوويّة وعمدة الأحكام ويحفظ في المصطلح ما تيسّر من مصطلح الحديث ولو المنظومة البيقونيّة، ويحفظ في النّحو متن الآجرومية مثلًا، ثمّ في الصّرف لاميّة الأفعال ويحفظ في التّجويد متنًا أو متنين كأن يحفظ هداية المستفيد في أحكام التّجويد أو غيرها من المؤلّفات الحديثة. العلماء الرّبّانيّون يحملون الشباب علىٰ هذه الطّريقة، طريقةِ الأوّلين في طلب العلم، في حفظ المتون، ثمّ يحملونهم علىٰ العمل والتّطبيق لأن لا يكون علمهم حجّةً عليهم، لأنّ عِلمك إنْ لم تعمل به يكون حجّةً عليك. نُصحًا للشّباب، العلماء الرّبّانيون يحثّونهم ويدرّبونهم علىٰ العمل بالعلم وعلىٰ الإكثار من النوافل الصّلاة والصّيام وعلىٰ أن يرحلوا بإجازاتهم إلىٰ المسجدين العظيمين المسجد الحرام والمسجد النبويّ ليتعبّدوا ولينهلوا العلم من المسجدين العظيمين. إذا شغلنا أوقات شبابنا بهذه الطّريقة تمكّنّا من أن نحول بينهم وبيْن تلك الرّحلات السّياسيّة والطّلعات السّياسيّة وأبعدناهم عن الشّغب السّياسيّ.

الشّغب السّياسيّ يُفسد القلوب ويُقسّي القلب، فأبعد القلوب من الله القلب القاسي. الإنسان الذي يشغل أوقاته بقيل وقال وخذ وهات والطّلعات والرّحلات والهجوم الوهمي في آخر الليل علىٰ المخيمات، هذه الأمور تبعد طالب العلم عن الله، ينسىٰ الله، ينسىٰ الدّار الآخرة، ينسىٰ الرّحيل، ينسىٰ أيضًا أن يتّخذ رصيدًا يقابل به ربّ العالمين، وهل هذه الأشياء تصلح أن تكون رصيدًا .

إذا أَنْتَ لَمْ تَرْحَلْ بِزَادٍ مِنَ التُّقَىٰ وَلاقَيْتَ بَعْدَ الْمَوْتِ مَنْ قَدْ تَزَوَّدَا

نَدِمْتَ عَلَىٰ أَنْ لا تَكُونَ كَمِثْلِهِ وَإِنَّكَ لَمْ تَرْصُدْ كَمَا كَانَ أَرْصَدَ [1]

أيّها الشّباب فراغكم وشبابكم وصحّتكم وما لديكم من الإمكانيّة في طلب العلم في حفظ العلم وحفظ كتاب الله وتدبّره والازدياد من العلم والاشتغال بالطّاعة بطاعة الله تعالىٰ ومنافسة العُّباد في الصّفوف الأول في الحرمين الشريفين في إجازاتكم يوم الخميس والجمعة مثلًا هذا هو الرّصيد، هذا

---

(1) البيتان للأعشىٰ وهما في ديوانه (103)

الذي يصلح أن يكون رصيدًا، أمّا تلك الأشياء التي أشرنا إليها، الشّغب السّياسي يورث الحسد والحقد والبغض فتذهب من بيْن النّاس المحبّة، الواجب أن يتحابّ المؤمنون فيما بينهم لله، لا لغرضٍ سياسيٍّ و لا لغرضٍ آخر، لذلك إذا سلك شبابنا الطّريقة التي أشرنا إليْها في طلب العلم، وابتعدوا عن المجالات السّياسيّة التي شغلت بال كثيرٍ من الشّباب استراحوا فأراحوا. السّياسة ليست بالأمر الهيّن، بابٌ عظيمٌ من أبواب الفقه يُدرس دراسةً ثمّ يطبّق عمليًّا. أمّا خوْض الشّباب الصّغار يخرجون من بيوت آبائهم فيشتغلون بالسّياسة هذا ضياعٌ وأي ضياعٍ، فنصيحتي لشبابنا أن يغيّروا وضعهم ويدرسوا تاريخ العلماء وتراجم أهل العلم ليدركوا كيف طلبوا العلم، كيف بدؤوا وكيف نجحوا. هكذا يجب أن نوجّه شبابنا إلىٰ طلب العلم وإلىٰ العمل. ثمّ هؤلاء هم الذين سوف يصبحون دعاةً إلىٰ الله. إذا كانوا دعاةً إلىٰ الله وهم علىٰ بصيرةٍ وتربّوا علىٰ هذه الطريقة نفع الله بهم العباد والبلاد.

الدّعوة إلىٰ الله والتّجديدات والإصلاحات من القرن الثالث الهجري -من أواخره- إلىٰ يومنا هذا حصلت كثيرًا والمناهج اختلفت، فلنستعرض هذه الدّعوات وتلك الإصلاحات والتّجديدات لنعرف من دعا بالطّريقة المُثلىٰ فنجح في دعوته ونفع الله البلاد والعباد بدعوته وإصلاحاته، وبمقابل ذلك نذكر من انتسب إلىٰ الدّعوة ولكنّه فشل، ولابدّ من ذِكْر الأمرين، إنّما تعرف الأشياء بأضدادها:

وَالضِّدُّ يُظْهِرُ حُسْنَهُ الضِّدُّ (2)

لولا ظلام اللّيل ما عرفنا مكانة ضوء النّهار، إذًا لابدّ أن نستعرض هذه الدّعوات معًا.

أوّل تجديدٍ وإصلاحٍ بعد أن هجم عِلْم الكلام فدخل علىٰ المسلمين وأفسد عليهم عقيدتَهم، أوّل من قام بالإصلاح وأوذي في ذلك فصبر واحتسب الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ ولكن جرت سُنّة الله أنّ الدّعوة لا تثبت ولا تمكن في الأرض وتبقىٰ في الأرض إلّا بيْن اثنين: الدّاعيةُ الشّجاعُ الذي يجهر بالدّعوة ويصدع بالحقّ ويصبر علىٰ الأذىٰ، هذا حصل بالنّسبة للإمام أحمد.

---

(2) عجز بيت في قصيدة طويلة، وصدره: ضِدّانِ لما استُجْمعا حَسُنا.

وقد اختلف في قائلها، فقد نسبت إلىٰ أكثر من أربعين شاعرًا، فقيل إنّها لشاعرٍ جاهليٍّ، ولم يُذكر من هو، وقيل: إنّها لذي الرمّة، وقيل: إنّها لدوقلة المنبجي، وقيل لأبي نوّاس، وقيل: لأبي الشيص الخزاعي، وقيل لعلي بن جبلة.

انظر: التبيان في شرح الديوان للعكبري (1/ 22)، شرح الديوان للواحدي (1/ 197).

الرّجل الثّاني: المؤازر القويُّ الشجاعُ المحتسبُ علىٰ الله الأجرَ. الذي يؤازر الدّعوة ويُدافع عنها ويحمي ظهرها هذا هو الذي فقدته دعوةُ الإمام أحمد، لأنّ السّلطة نفسها هي التي تعاديه، السّلطة بدءً من المأمون العبّاسي ومرورًا بالمعتصم ثمّ الواثق بالله هؤلاء الذين يملكون السّلطة هم الذين يعادون ذلك الإمام وهم الذين عذّبوه وآذوه وامتحنوه، لذلك تجديد الإمام أحمد وإصلاحاته ومؤلفاته، الاستفادة منها في ذلك الوقت معدومة بل كما يقول المقريزي: أتباعه انتشروا في زوايا الدّنيا واختفوا حتّىٰ جُهل منهج السّلف تمامًا.

ثم قيّض الله في القرن السابع من يجدّد مرّةً ثانيةً، ظهر فجأةً الإمام ابن تيميّة بدمشق بعد أن تسلّح بسلاح الخصوم وله خصومٌ كثيرون، علماء الكلام والمنطقيون والفلاسفة والمتفقّهة المتعصّبة والصّوفية ووحدة الوجود كلّ هذه الجبهات أمام الإمام ابن تيميّة، أراد الله أن يفتح علىٰ هذا الإمام قبل أن ينزل الميدان، فتبحّر في المعقولات والاصطلاحات كما تبحّر في العلوم الشرعيّة -في المنقولات- فإذا الرّجل يُفحم كلّ طائفةٍ يُناظرها فيغلبها ومع ذلك كان مُجاهِدًا في الميدان أيّام التَّتار، لذلك السّلطة والحكّام والسلاطين يقدّرونه لا أقول يحبّونه، يقدّرونه، يقدّرون فيه الشّجاعة والبطولة لأنّه ينزل الميدان معهم، يحرّضهم علىٰ الجهاد في سبيل الله ثمّ ينزل معهم في الميدان فيجاهد ويقاتل، ولكن علماء السّوء الذين لهم الكلمة عند السّلاطين هم الذين آذوه، أوذي كثيرًا، يُنفىٰ من الشّام إلىٰ مصر، إلىٰ القاهرة، إلىٰ الإسكندرية ثمّ يُردُّ إلىٰ الشّام ويُوضع في السّجن، في هذه الفترات، فترات الامتحان والنّفي يُؤلّف ويُعلّم، بارك الله في أوقاته، علمًا بأنّه بعد أن بدأ بالعمل الميداني لم يجد راحةً ومع ذلك ألّف مؤلّفاتٍ عجزنا نحن اليوم من استيعابها من كثرتها في جميع العلوم، في جميع المواد، يستغرب المرءُ الذي يدرس تاريخ ابن تيميّة متىٰ ألّف هذه الكتب ولعلّ بعضها لا يزال في خارج دور الإسلام في أوروبا. هذا الدّاعية كذلك نَقَصَهُ ذلك الجانب الذي نَقَصَ تجديد الإمام أحمد: المؤازرة، لم يجد مؤازرًا يتبنّىٰ دعوته فيحمي ظهرها ويدافع عنها.

وأخيرًا في القرن الثّاني عشر قيّض الله من يُجدد للمسلمين في هذه الجزيرة أمْرَ دينها حيث رحل شابٌ من نجدٍ: الإمام محمّد بن عبد الوهاب، فبدأ رحلته العلميّة بحجّ بيت الله الحرام ومكث في المدينة فترةً طويلةً وتعلّم وتضلّع من علوم الحديث علىٰ الرّغم مما يقوله خصومه وقبل ذلك كان دَرَسَ الفقْه الحنبليّ علىٰ والده وعكف في عنفوان شبابه علىٰ كتب الإمامَيْن العظيمَيْن: الإمام ابن تيميّة وتلميذه ابن

القيّم، ومن يقارن بيْن أسلوبه وأسلوب الشيخين يُدرك ذلك. وبعد أن أَخَذَ الإجازة العلميّة من المسجد النّبويّ حيث قدّم الشّيخ عبد الله آل سيف أحبّه وقدّمه لعلماء الحرم في ذاك الوقت كالشّيخ محمد حياة السّندي، درس عليهم فأخذ الشّهادة وتُسمّىٰ في ذلك الوقت إجازةً ورَحَل فدرَسَ في البصرة فروع اللّغة العربيّة وتمكّن من العلوم العربيّة وفي البصرة بدأت الدّعوة دعوةً سريّةً فيما بيْنه وبيْن زملائه ومشايخه ومن يجلسون إليه. وأخذ يشدّد الإنكار علىٰ عبّاد القبور إلىٰ أن عُرف فأُخرج. فخرج وفي النّهاية رجع إلىٰ نجدٍ، هنا بيت القصيد لمّا رجع للدّعوة ماذا فعل؟ الحكّام الذين وجدهم أمامه كلّ أميرٍ يحكم قومه بالعادات والتّقاليد الموروثة وبسُلومهم، هل حرّض الشّباب علىٰ هؤلاء الحكّام الذين يحكمون بغير ما أنزل الله، فقال هؤلاء طواغيتٌ تعالوا بنا نطرُدُهم ونحلُّ محلَّهم، هل بدأ بالتّحريض والتّهييجِ، لا، تقدّم أوّل ما تقدّم إلىٰ أمير بلدة حريملاء فعرض نفسه ودعوته عرضًا ليّنًا بأدبٍ واحترامٍ وبيَّن لهم أنّه جاء ليصحّح العقيدة ويُصلح الأحكام ويطهر الأخلاق وأنّه بحاجةٍ إلىٰ من يآزرُهُ وأجره علىٰ الله.

من أول عرضٍ قُبِل، لأنّ الأمير لم يجده منافسًا متطلّعًا إلىٰ السّلطة، رجلُ إصلاحٍ، رجلُ دعوةٍ، قُبِلت الدّعوة، ولكنّ سُنّة الله لابدّ أن تقع، علم أنّ بعض السّفهاء يريدون أن يفتكوا به، فخرج خائفًا كما خرج موسىٰ وكما خرج النبيّ ﷺ من مكّة، خرج إلىٰ العُيَيْنَة بَلَدُهُ ومسقطُ رأسه، فقدّم نفسه كما قدّم في المرّة الأولىٰ، هذه المرّة لأمير العيينة فرحّب [به]، عُرفت نيّته ومقصده، فبدأ بالدّعوة فأزال بعض الأوثان وهدم بعض القِباب وبيَّن للنّاس أنّ عبادة الجنّ في الكهوف وعبادة النّخل شركٌ بالله. ولمّا طُرد، جاءت إليه امرأةٌ فاعترفت بفاحشة الزّنا فألحّت كما ألحّ ماعز أن تُطهّر، فطُهّرت، أقيم عليها الحدّ، لله في شأنه حكمةٌ، هذه الحادثة أظهرت الرّجل فذاع صيته، فهدّد الأمراءُ أميرَ العُيينة إن لم يخرج هذا الرجل، وأكثرُ من شدّد أمير الأحساء، فأخرجه ولسان حاله يقول: مكرهٌ أخاك لا بطل، أخرجه مضطرًّا فوصل إلىٰ الدِّرْعِيّة، فهذه الأمور، الله ﷻ علم أزلًا وكَتَبَ ورتّبَ هذا التّرتيب يحصل ذلك في الحريملاء ثم في العيينة، وأخيرًا تنتهي الدّعوة إلىٰ الدّرعية فوصل إلىٰ الدّرعية، فلم يتّجه إلىٰ الأمير، فنزل في بيتٍ معروفٍ: آل سويلم، فسمع به الإمام محمّد بن سعود فجاء إليه هو وإخوانه وأصحابه وأتباعه فدعاهم الشّيخ إلىٰ إخلاص العبادة لله، والحكم بما أنزل الله وأن يتركوا العادات وسُلومهم وأنّه جاء لهذا الغرض وأنّه لا يُريد إلّا وجه الله والنّصح لعباده. فرحّب به الأمير وهنا رمىٰ الشّيخ عصا السّفر وبدأ بالتّعليم وتأليف الرّسائلِ وجعلَ طلّابُ العلم يُهاجرون من أصقاع نجدٍ من نواحي نجد إلىٰ الدّرعية

حتّىٰ أصبحت القرية مركزًا للعلمِ والعبادةِ والتّربية الإسلاميّة الصّحيحة وبعد ذلك، قبل أن يكتب الشيخ إلىٰ العلماء إلىٰ الأنحاء بدأ الإمام محمّد بن سعود نفسه يكتب لأمراء نجدٍ وزعماء نجدٍ فيطلب منهم أن يتقبّلوا هذه الدّعوة فيصفها بأنّها دعوةُ إصلاحٍ. هكذا تعاونا و تعاضدا واشترط كلّ واحدٍ شروطه، ودعا الإمام محمّد بن عبد الوهاب دعوةَ المضطرِّ للأمير محمّد بن سعود، أن يجمع الله علىٰ يده كلمةَ المسلمينَ بعد هذا التفرّق وأن يُديم المُلك والسيادة في ذرّيته، دعوة المضطرّ كما ترون أنّها استجيبت.

هكذا بدأت الدّعوة، ليس غرضي أن أُترجمَ للشّيخ، غرضي أن أذكر الطّريقة المثلىٰ للدّعوة إلىٰ الله، طريقةٌ سلميّةٌ هادئةٌ متواضعةٌ غير طامعةٍ للزّعامة والظّهور والبُروز ولكن نصحٌ وإرشادٌ وإصلاحٌ، لذلك نجحت الدّعوةُ نجاحًا نعيش الآن نحن آثارهُ. ما يعيشُهُ المُجتمع السُعودي اليومَ من سلامة العقيدة وعدم الطّواف بالأضرحة بل عدم وجود الأضرحة والأمن والأمان والاستقرار، أثرٌ من آثار تلك الدّعوة المُباركة، هكذا نجحت، واستفاد المُسلمون في هذه الجزيرة منْ حُدود الشّام إلىٰ حدود اليمن ومن البحر إلىٰ البحر هذا ما استطاعوا، وليس في إمكانِهم أن يُقيموا كما يزعمُ مَن يزعمُ دولةً إسلاميّةً موحّدةً يُرفرف عليها علمٌ واحدٌ، العالم الإسلاميّ كلُّه، ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ ﴿١٦﴾﴾ [التغابن: ١٦] ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ ﴿٢٨٦﴾﴾ [البقرة: ٢٨٦] و هل عَدمُ قُدرتهم علىٰ ذلك يجعل الدّولة دولةً غير إسلاميّةٍ؟ منْ يعتقدُ هذا إمّا جاهلٌ أو معاندٌ، دولةٌ إسلاميّةٌ تحكّمُ شرعَ اللهِ فيما مكّن الله فيه من الأرض. هكذا نجحتْ الدّعوةُ وكما قُلت الشيءُ يُظهر حُسنه الضدُّ وإنّما تُعرف الأشياءُ بأضدادها، إذًا فلنستعرض الدّعوات الأخرىٰ وإلىٰ أيْن انتهت.

وُجدت دعوةُ السَّنُوسِيَّة، والمَهْدِيّة وشبابُ المُسلمين وإخوان المُسلمين وحزب التّحرير، دعواتٌ وحركاتٌ فهل نجحت؟ لَا، ولن تنجح، لن هنا زمخشرية[3] لماذا؟ لأنّ الدّاعية الذي تحدّثنا عنْه تأسّىٰ برسول الله ﷺ وبدأ بالعقيدة، بإصلاح العقيدةِ، ثمّ انصرف للمجالات الأخرىٰ؛ مجال السّياسة والاقتصاد والاجتماع والأخلاق وغير ذلك، أمّا الدّعوات الأخرىٰ، السّنوسية مثلًا دَعوةٌ صوفيةٌ، الصُّوفية من أجهل النّاس، الجاهل لا يَصْلُح أن يكون داعيةً، فاقد الشيْء لا يعطيه. طريقةٌ

(3) قال الزمخشري في الكشاف (2/ 154): فإن قلت: ما معنىٰ لَنْ؟ قلت: تأكيد النفي الذي تعطيه «لا» وذلك أن «لا» تنفىٰ المستقبل. تقول: لا أفعل غداً، فإذا أكدت نفيها قلت: لن أفعل غداً. اهـ

صوفيةٌ أدرجها صاحبُها في السيّاسة، هي في الأصل صوفيةٌ ولكنّها تبخّرت وانتهت، فقامت الدّعوات الأُخرىٰ السياسيّة التي حاولت أن تقول إنّها جامعةٌ بيْن منهج السّلف والخلف وبيْن التّصوّف والأشعرية وربّما دخلت المسيحيّةُ، أكثر من نصف قرنٍ، تسْرح هذه الدّعوة ولا تنجح لأنّها أخطأت الطّريقة التي سلكها الدُّعاةُ المُصلحون الأوّلون، طريقةُ الرُّسل إصلاحُ العقيدة والنُّصح لله والنُّصح لعباد الله وأن يكونَ الأمْر واضحًا لا لبْس فيه ولا غموض. الدّعوات كلُّ الدّعوات التي ذكرناها فشلت فبقيت هذه الدّعوة ناجحةً، عِلمًا بأنَّ هذه الدّعوة في أوّل أمرها قُوطعت مقاطعةً عالميّةً، قِيل إنّها وهّابيّة، إنّها دينٌ جديدٌ، كان الملك عبد العزيز رَحِمَهُ اللهُ يقول: يقولون عنّا نحن وهّابيّون ودعوتنا وهّابيّة، ويقول: هذا كلام المُغرضين نحن عقيدتُنا عقيدةُ السّلف الصّالح ونحترم الأئمّة ثمّ عدّد الإمام مالك – بدأ به– والإمام الشّافعي، والإمام أحمد والإمام أبا حنيفة، قال: هؤلاء مُحترمُون عندنا، بمعنىٰ أدرك المَلِك ما يُشيعه خُصوم الدّعوة في العالم أنّ هذه الدّعوةَ لا تحترم الأئمّة الأربعة ولا الصّحابة وأنّها دينٌ جديدٌ، مع ذلك أبىٰ الله إلّا أن تبْقىٰ وتظهر وأنْ يكون خُصومُها أصدقاءَها وأن تنتشر في تلك المناطق التي كانت تُحاربها، في السّبعينات قد يَدُسُّ طُلّاب العلم في المسجد الحرام كتاب التّوحيد بيْن أمتعةِ الحُجّاج إلىٰ بلادهم وهم غُرباءٌ هنا وإذا عُثر عليه هُناك حُرّق بالنّار، إلىٰ هذه الدّرجة، في السّبعينات ليس بِبَعيدٍ. الآن تطلب المدارسُ الأهليّةُ التي أُنشئت علىٰ منهج هذه الدّعوة، تَطْلب منّا الأُصُول الثّلاثة وكتاب التّوحيد وكشف الشّبهات ونحن نَعجز من التّأمين كثيرًا، هذا من فضل الله، بمعنىٰ: إنّ الدّعوة لو قلت إنّها عمّت العالم –في المستوىٰ الشّعبي لا بالمستوىٰ الرّسمي– ما بالغتَ في ذلك لأنّ دُعاة الحقِّ من خرّيجي جامعاتِنا مُنتشرون الآن في دُول أُوروبّا وفي جميع دُول الغرب وفي إفريقيا، في القارة الهنديّة وفي كلّ مكانٍ، أُريدُ أنْ أقولَ الطّريقة المُثلىٰ للدّعوة إلىٰ الله هي هذه، فلنفهم جيّدًا هي هذه، الآن نحن نُربّي شبابنا –أعني الشّباب السعودي– ونُربّي شباب المُسلمين في جامعاتنا خصوصًا في الجامعة الإسلاميّة التي ينتمي إليْها نحو مائة جِنْسيّة فالواجبُ علىٰ العلماء وطُلّاب العلم أن يُربّوا هؤلاء الشّباب المواطنين وغير المواطنين من الوافدين لطلب العلم أن يُربُّوهم تربيةً إسلاميّةً صحيحةً بالطّريقة التي أشرنَا إليها ليعودوا إلىٰ بلادهم دعاةَ حقٍّ بالطّريقة المُثلىٰ وأن يجنّبوهم الإثارات والتّهييجات والاعتداءات، هذه ليست من صفات المسلمين، ليس من صفات الدّاعية فقط، «لَيْسَ

الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ، وَلاَ اللَّعَّانِ، وَلاَ الْفَاحِشِ، وَلاَ الْبَذِيءِ»[4]، «الْمُؤْمِنُ هَيِّنٌ لَيِّنٌ»[5]، «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ»[6] وأمّا الطّريقةُ الجديدةُ التي تأثَّر بها بعضُ شبابنا فيها النّيْل مِن أعراضِ النَّاس، فيها الحسدُ، فيها الحقد، فيها الغيبة والنّميمة والكذب وفيها تضييع الأوقات فيما لا يعود علىٰ الشّباب بالفهم، بل تُورث قسوةَ القلوبِ، لذلك نصيحتُنا المكرّرة أن يتجنّب شبابُنا تلك الحركات وتلك الجماعات، لا ينبغي أن يوجد عندنا إلّا جماعةٌ، جماعةٌ بالتّاء المربوطة إذا فَتَحْتَ هذه التّاء وجَعَلتها جماعاتٍ فَسَدَ الأمرُ، اعرفْ هذا تمامًا، الجماعة التي تتأسّىٰ بالجماعة الأولىٰ، بالسّابقين الأوّلين من المهاجرين والأنصار، في هذا البلد تُوجد جماعةٌ ولها إمامٌ، فكلُّ من وَفَدَ علىٰ هذا البلد فالواجب عليه أن يضع يده في يد هذه الجماعة، ويعيش مَعهم أخًا محبًّا ومحبوبًا لتبقىٰ المحبّة والمودّة بيْن المُسلمين ولا ينبغي لزيْدٍ أن يُنشئ جماعةً ولعمرٍو أن يُنشِئ جماعةً ولبكرٍ أن يُنشِئ جماعةً ثالثةً حتّىٰ تُفتح التّاء فتكون جماعاتٍ، التّاء المجرورة هذه تجرُّ الشرّ علىٰ العباد -تاءُ الجماعات-، لذلك أكرّر: أن نقتصر علىٰ الجماعة، الجماعة الواحدة ونبقىٰ جماعة وننصح للمسلمين في الدّاخل والخارج، ويعمل أهلُ البصيرة بالدّعوة إلىٰ الله بالطّريقة المُثلىٰ، فإذا ما تخرّجَ شبابُ المُسلمين، الذين يدرسُون المنهج السّلفيّ بالجامعات الإسلاميّة الذين وفدوا من أقطارٍ كثيرةٍ، إذا تخرّجوا من هذه الجامعات وربُّوا هذه التّربية، رجعوا إلىٰ أوطانهم فسلكوا المسلك الذي سلكه الدّاعية الأخير الذي تحدثنا عنه[7] فقيّض الله لهم مؤازرًا ، أصبحوا دعاةَ حقٍّ بالطّريقة المثلىٰ، هذا كلُّ ما أريد أن أقول في حديثي هذا، فالإنسان يجب أن يقدّر مسؤولية الكلمة، الكلمة لها مسؤوليةٌ أمام الله، الذي ينصح، الذي يدرِّس والذي يُحاضر كلُّ واحدٍ منّا يجب أن يقدّر مسؤولية الكلمة، علىٰ ضوء هذا المفهوم ينصح بعضنا البعضٍ وبالله التوفيق.

---

(4) أخرجه أحمد (3839) والبخاري، في الأدب المفرد (332) والترمذي (1977)

(5) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (7775) وأنظر الضعيفة (4671)

(6) أخرجه البخاري (10) ومسلم (70) واللفظ للبخاري

(7) الشيخ محمد بن عبد الوهاب

أيّها الإخوة ربّما يتأثّر بعض النّاس الذين تعوّدوا الحياة مع بعض المتصوّفة والذين انخدعوا ببعض الحركات قد يتأثّر من كلامي هذا ولكن أُشْهِدُ اللهَ ثُمّ أُشْهِدُكُمْ ليس لي غرضٌ بأن أنال من أحدٍ بغير حقٍّ، و إنّما غرضي النُّصح لشبابنا، في نفسي شفقةٌ وخوفٌ علىٰ مستقبل شبابنا إن لم ننصح لهم وتركناهم علىٰ ما هم عليه، أي بالنسبة للمتأثّرين، وقد عَلِمْتُ غير مرّة أنّ بعض شبابنا الذين تأثّروا رجعوا وتابوا نسأل الله أن يتقبّل توبتنا وتوبتهم وأن يجمع كلمتنا علىٰ الحقّ، فعلىٰ طلّاب العلم والمدرّسين أن يركّزوا في هذا الوقت علىٰ النّصح للشّباب وتربية الشّباب وتوجيه الشّباب، لأنّ هؤلاء الشّباب هم الذين سوف يَتَوَلّوْنَ المناصب المرموقة قد يصلون إلىٰ رئاسة دولةٍ من الدّول، هؤلاء الوافدون ينظر إليهم أصحابهم وأهاليهم وبلدانهم نظرةً خاصةً لأنّهم جاؤوا إلىٰ السّعودية، وللسّعودية مكانةٌ خاصّةٌ في نفوس المسلمين، لذلك الدّاعية الذي يتعلّم هنا ويتخرّج من جامعاتنا فيعود ينفع اللهُ به كثيرًا وقد نفع اللهُ بهم كثيرًا وقد زُرتُ هؤلاء الدّعاة في أكثر من عشرين دولةً فوجدتهم نحو تسعين بالمائة نهجوا منهجًا سليمًا فنفع اللهُ بهم كثيرًا مع تحمّل الأذىٰ، لأنّ الدّاعية كما أنّه يجب أن يكون ذا علمٍ وذا عملٍ يصدّق علمه يجب أن يكون قويّ الشخصية لا يلين أمام الأحداث، أمام المصائب، يصبر ويحتسب ويتحمّل ويحتسب الأجر علىٰ الله، هذه الصفات ينبغي أن تتوفّر في جميع الدّعاة: العلمُ والعملُ وقوّةُ الشّخصية والصراحةُ والصّدقُ والإخلاصُ، الإخلاص: عملٌ قلبيٌّ لكن يُعلم من تصرفات الداعية ومن حركاته أنّه لا يقصد بدعوته تأييد جهةٍ معيّنةٍ أو جماعةٍ معيّنةٍ وإنّما يُريد وجه الله والنّصح لعباد الله. بهذه الطّريقة إذا ربّينا شبابنا الذين وفدوا علينا محسنين الظنّ بنا، قُمنا بواجب النّصح، والتقصير حاصلٌ، فإن تركناهم تتجاذبهم الآراءُ والأهواءُ ويأخذهم من يأخذهم في تلك الطّلعات السياسيّة فيشغلونهم، فيُفْسِدون قلوبهم حتّىٰ إذا عادوا رجعوا ثَوْريّين -عياذًا بالله- هذا لم يستفد من علمه، الذي يتعلّم التّعليم الجامعي، ربّما يصل إلىٰ درجة الدكتوراه، ثمّ يعود ليكون داعيةً، لم يُوفّق في عرض الدّعوة كما عَرَضَ الإمام محمّد بن عبد الوهاب لكنّه بدأ بالهجوم والعنف، هذا بلدُهُ خسره، أوّلًا لا ينجحُ، ثانيًا لم يستفد من علمه فعلمه حُجّةٌ عليه، لذلك نُعيذ شبابنا من هذا الموقفِ. وأكرّر أن يسلكوا الطّريقة المُثلىٰ في دعوتهم إلىٰ الله. بهذا ننجح -إن شاء الله- ونصل إلىٰ ما نريد.

فلنعلم بأنّنا في دار الغربة، لسنا في الوطن كما يزعم من يزعم، الوطنُ أمامنا، مثلنا مَثَلُ العمّال الوافدين علينا في هذا البلد من أقطار الدنيا، الذين يعلمون أنّهم سوف يرحلون فيعمل الواحدُ منهم ليبني

في وطنه هناك وليؤسّس في وطنه هناك ويعلم أنّه غريبٌ، كلّ ما في الدنيا بمثابة هؤلاء الغرباء، يقول العلّامة ابن القيّم:

فَحَيَّ عَلَىٰ جَنَّاتِ عَدنٍ فإنَّهَا مَنازلُكَ الأولىٰ، وفيها المُخيَّمُ

إلىٰ أن قال :

ولكنَّنَا سَبْيُّ العَدُو فهل تَرَىٰ نُردُّ إلىٰ أَوطَانِنَا ونُسلِّمُ

فليعمل شبابنا عملَ من يرغب العودةَ إلىٰ وطنه بسلامةٍ ولا سبيلَ إلىٰ ذلك إلّا العلمُ النّافعُ والعملُ الصّالحُ والنُصح لله ولكتابه ورسوله ولأئمّة المسلمين وعامّتهم، فاللهُ ﷻ كما أوجب طاعته أوجب طاعة رسوله ﷺ وأوجب طاعة أولي الأمر ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ ﴿٥٩﴾﴾ [النساء: ٥٩] ومن الخطأ، الخطأ الفاحش، مُحاولة بعض الشّباب التّنفير من أولي الأمر، وأولو الأمر هم العلماء الصّالحون والأمراء المنفّذون لأحكام الله، محاولة التّنفير من أولي الأمر والنّيل منهم وتزهيد النّاس فيهم إن هي إلّا فتنةٌ ليست بدعوةٍ ولكنها فتنةٌ ولعلّ بعض شبابنا قد أدركوا أنّها ليست بدعوةٍ فرجعوا إلىٰ رشدهم فنسأل اللهَ لنا ولهم الثّبات وبالله التوفيق.

أكتفي بهذا المقدار لأجيب علىٰ بعض ما تيسّر من أسئلتكم فأسأل الله لي ولكم الثّبات إنّه علىٰ كلّ شيءٍ قديرٌ وصلّىٰ الله علىٰ نبيّنا محمّد وآله وسلّم.

الأسئلة:

س: سائلٌ يسأل وإن كان السّؤال ليس في موضوع الحّديث ولكنّه سؤالٌ علميٌّ، يقول: كيف نوفّق بيْن هاتين الآيتين، بين قوله ﷻ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥] وقوله تعالىٰ ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ ۝٤﴾ [الحديد: ٤]؟

الجواب: لم يخطر ببال السّلف الصّالح من الصّحابة والتّابعين وأئمّةِ تابعِ التّابعين كالأئمّة الأربعة، لم يخطر ببالهم أنَّ بيْن الآتين تعارضًا، وإنّما جاء هذا المفهومُ بعد أن درسَ المتأخّرون علم الكلام، فَوُجِدت عقيدة الجَهْمِيَّةِ لجهم بن صفوان[8] وَرَّثَهَا للمعتزلة وشَاركته الأشاعرةُ بأنّ الله ﷻ في كلّ مكانٍ بذاته لا يدعا من فوق. معنىٰ الآية الأولىٰ ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥] الله ﷻ أخبر أنّه فعل فعلًا بعد أن خلق السّموات والأرض وما بيْنهما في ستّة أيامٍ ذلك الفعل أن خصّ العرشَ بالاستواء، الاستواء الذي يليق به، الذي هو بمعنىٰ العلوّ. العرشُ سقفُ الدّنيا، ليس فوق العرش شيءٌ، الله ربّ العالمين فوقنا وفوق جميع المخلوقات، استوىٰ علىٰ عرشه علا علىٰ عرشه، بالكيفية التي يعلمها ولا نعلمها. بهذا المعنىٰ يقول الإمام مالك: «الِاسْتِوَاءُ مَعْلُومٌ» أي من حيث المعنىٰ «وَالْكَيْفُ مَجْهُولٌ»، كيفية استواء الله علىٰ عرشه والإيمان بعلوّ الله واجبٌ «والسُّؤَالُ – عن الكيفية – بِدْعَةٌ»[9].

أمّا الآية الثّانية ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ ۝٤﴾ [الحديد: ٤] أجمعَ السّلفُ أنّ المعيّة في هذه الآية معيّةُ العلم وليست معيّةَ الذّاتِ، مستحيلٌ أن يكون اللهُ معنا بذاته، الّذين يزعمون أنّه معنا بذاته ومع كلّ أحدٍ وفي كلّ مكانٍ وجود اللهِ عندهم وجودٌ خياليٌّ وإلّا لو سألتَ: إذا كان معنا أرني إيّاه ماذا يكون الجواب؟

الله لمّا أرادَ أن يشرّف نبيّه تشريفًا دَعَاهُ إلىٰ العُلُوِّ، إلىٰ العُروج، سافر من مكّة إلىٰ بيْت المقْدس – محمّد رسول الله ﷺ – ثمّ استقبله هناك الأنبياءُ – أحياهم اللهُ – فصلّىٰ بهم إمامًا ثمّ عُرِج به، وإذا في كلِّ

(8) جهم بن صفوان أبو محرز السمرقندي، الضال المبتدع، رأس الجهمية، قال الذهبي: هلك في زمان التابعين وما علمته روىٰ شيئا، لكنه زرع شراً عظيماً. ميزان الاعتدال (1/ 426) قُتل سنة (128هـ) انظر: البداية والنهاية (10/ 27).

(9) رواه الإمام اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (3/ 398)، والإمام أبو نعيم في الحلية (6/ 325 ـ 326)، والإمام البيهقي في الأسماء والصفات (ص408) وقد ذكره ابن أبي زيد القيرواني في الجامع (ص123)، والقاضي عياض في المدارك (1/ 170 ـ 171).

سماءٍ يرحّب به نبيٌّ بدءً من السّماء الأولىٰ السّماء الدّنيا فيها آدم وانتهاءً إلىٰ السّماء السّابعة فيها إبراهيم، إلىٰ أن تجاوز سِدرة المنتهىٰ فوصل إلىٰ حيث خاطبه ربّه فسمع كلامَ اللهِ وهو لا يراه. يجب أن نعتقد أنّ اللهَ فوق جميع المخلوقات ولا يليق بالله ﷻ أن يكون مع خلقه في أرضه أو في سماواته، لذلك قوله تعالىٰ ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿١٦﴾ ﴾ [الملك: ١٦] معناه: أأمنتم من عَلَىٰ السّماء، فوق السّماوات، السّماء هنا بمعنىٰ العلوّ، تفسيرها الآية التي معنا ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾ [طه: ٥] ولا يجوز أن يعتقد مسلمٌ بأنّ اللهَ داخل الأجرام السّماوية، كما لا يجوز أن يعتقد أنّه في الأرض معنا. إذًا معنىٰ ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴿٤﴾ ﴾ أي بعلمه، هذه تُسمّىٰ المعيّة العامة، لأنّ لفظة مع ليست نفسًا بالمقارنة الذّاتيّة بل لمطلق المقارنة، ثمّ السّياق هو الذي يُفسر، السياق أي (مع)، لك أن تقول: أنا مع الإمام أحمد في اعتقاده بأنّ القرآن كلام الله، معيّة حقيقيّة، أنت معه في الاعتقاد، قارنته في الاعتقاد، لا نزال نسير في سفرنا والقمر معنا، والقمر في السّماء، معنا بضوئه لا بذاته. ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴿٤٠﴾ ﴾ [التوبة: ٤٠] «يَا أَبَا بَكْرٍ، مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا»[10]، وهل يعتقد مسلمٌ بأنّ الله بذاته كان معهما في الغار؟ حاشا، يا سُبحان الله، اللهُ الذي ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴿٢٥٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] كيف يعتقد أنّه معنا بذاته وأنّه كان في الغار وأنّه كان بذاته مع موسىٰ وهارون، عندما كلّفهما بدعوة فرعون، لا يجوز هذا الاعتقاد، اعتقادٌ يُؤدّي إلىٰ الحلولية، بأنّ الله حالٌّ في المخلوقات وهذا درسٌ مستقلٌّ، أرجو أن يفهم الجميع هذه الإشارة.

ليّت الأسئلة كلّها تأتي أسئلةً علميّةً بعيدةً عن الحساسيات.

س: يقول السّائل: ما صحّة قول من يقول إنّ المسائلَ المختلفَ فيها بيْن العلماء لا يصحّ الإنكار عليها إذا كانت محرّمةً أو الأمر بها إذا كانت واجبةً؟

الجواب: هذا الكلام بعمومه لا ينبغي أن يطلق مثل هذه العبارة ولكن له أن يقول المسائل الفقهيّة التي هي مطرح الاجتهاد لا يضرّ الاختلاف فيها بين العلماء المجتهدين طالما يقصد كلُّ مجتهدٍ العملَ

---

(10) أخرجه البخاري (3653) ومسلم (6244)

بالكتاب والسُنّة، قد يختلفون في الفهم ولا ينبغي التّشدد في ذلك، هذه قاعدةٌ يذكرها ويشرحها الإمام ابن تيميّة في كتابه الذي دافع فيه عن الأئمّة الكتاب الصغير الذي هو «رَفْعُ الْمَلَامِ عَنِ الْأَئِمَّةِ الْأَعْلَامِ» يذكر الإمام بأنّه من وقتٍ طويلٍ كان الأئمّة في المسجد النّبويّ المالكيّة، لأنّ الإمام مالك من أهل المدينة وأتباعه كانوا يرسلون أيديهم في الصلاة فيقول من يحضر إلىٰ المسجد النّبويّ من المسلمين الذين لا يرون الإرسال ويرون القبض، يقبض الإنسان يده فيصليّ خلف إمامٍ مرسلٍ لأنّه يعلم أنّه عَمِل بما عمل اجتهادًا ، فلا يضرّ ذلك صلاته ولا يعتبر هذا اختلاف في الصّلاة بين الإمام والمأموم.

مسألةٌ فقهيّةٌ في الصّلاة: اختلف علماء الحديث أنفسهم للتّوفيق بيْن حديث أبي هريرة وحديث وائلٍ بن حجر قوله ﷺ: «لَا تَبْرَكُوا كَمَا يَبْرُكُ الْبَعِيرُ» أو «لَا تَبْرَكْ كَمَا يَبْرَكُ الْبَعِيرُ» لَو تركنا آخر الحديث الذي هو محلّ اختلافٍ، اتّفق الجميع علىٰ أنّ البروك مثل البعير منهيٌّ عنه، مكروهٌ ليس معناه ذلك تبطل الصلاة، لا، لو برك الإنسان بروك البعير صلاتُه لا تبطل لكنّه خالف السُّنّة وارتكب أمرًا منهيا عنه. كلّكم -أهل الجزيرة- أهل الإبل، ما أعتقد نختلف أنّ البعير يمشي علىٰ أربعٍ، ليس مثلنا ويداه علىٰ الأرض كما أنّ رجليه علىٰ الأرض، فإذا أراد أن يبرك البعير ما هو أول ما يصل إلىٰ الأرض ما هو؟ الركبتان هذا بالإجماع، بإجماع الحاضرين وغير الحاضرين من أهل المعرفة بالإبل، هل تتصوّرون أنّ هناك من لا يعرف الإبل في الدنيا؟ نعم، بعض زملائنا درسنا معا في جامعة الإمام من أهل الهند من ميليبار قال لم يرىٰ الإبل إلّا بعدما جاء للسّعودية، أمثال هؤلاء إن اختلفوا في بروك الإبل فليختلفوا، لكن نحن لِماذا نختلف؟ نُهِينا أن يَبرُك أحدنا كالبعير ونعلم أن يَدَيْ البعير علىٰ الأرض فإذا أراد البروك فإنّما يبرك علىٰ ركبتيه، اختلفوا اختلافًا، الإنسان لمّا يقرأ، يستغرب لماذا يحصل مثل هذا الاختلاف، حتىٰ ادّعىٰ بعضهم، بعض الفطاحلة، إنّ متن الحديث مقلوبٌ، لذلك أنا عندما أناقش الطّلاب، طلابي في المسجد النّبويّ أقول فلنتركه آخر الحديث، فلنأخذ هذا الجزء من الحديث فلنطبّق معرفتنا للبعير، كيف البروك الأمر واضحٌ، هل يوجد من الحاضرين من يخالفنا بأنّ البعير إنّما يبرك علىٰ ركبتيه ما اعتقد. هذا أمرٌ واضحٌ.

المسألة الثّانية: يختلف طلّاب العلم في التورّك والافتراش

التورّك مأخوذٌ من الورك بأن تخرج رِجلك اليُسرىٰ من تحت رجلك اليُمنىٰ فتجلس علىٰ وِرْكِك، هذا التورّك، ولا ينبغي أن ترسل الرجلين معًا علىٰ اليمين حتّىٰ تميل عن القبلة وتؤذي من علىٰ يمينك

برجلك وتؤذي من علىٰ يسارك بكتفك، هذا يحصل من بعض الناس الذين يحضرون من بعض الأقطار، وكانوا في المدينة يعرفون ذلك إذا ذكرتُ هذا ولكن أنتم لا تعرفون، الشاهد: المبالغة في التورّك بأن تُرسل رجليك علىٰ يمينك وتجلس علىٰ مقعدك مائلًا هذا غير جائز وربّما يخرج بصدره عن القبلة هذا التورّك الذي وصفت، جلوسك علىٰ الورك بالطريقة التي قلناها أن تنصب قدمك اليمنىٰ وتخرج رجلك اليسرىٰ من تحت رجلك اليمنىٰ هذا إنّما يفعل في التشهد الأخير أي تجلس متمكّنًا هكذا لأنّك انتهيت، لم يبق لك إلّا السّلام.

أما الافتراش : أن تفترش قدمك رجلك اليسرىٰ فتجلس علىٰ قدمك وتنصب قدمك الأيمن افتراشًا لأنّك افترشت قدمك وجلست عليها استعدادًا للقيام، هذا يعمل في التشهد الأوّل الذي تنهض بعده، ذلك هو التورّك و هذا هو الافتراش.

وهناك جلسةٌ ثالثةٌ، الإقعاء، والإقعاء نوعان: إقعاء الكلب مَنْهيٌّ عنه. إقعاء الكلبِ أن يجلس الإنسان علىٰ مقعده ورجلاه في الأرض ويداه في الأرض أيضًا، لاحظ الكلب عندما تمرّ عليه في الشارع كيف يجلس، هذا منهيٌّ عنه لأنّه تشبّهٌ بالكلب، أمّا لو نصبت قدميك وركبتاك في الأرض وجلست علىٰ قدميك في الجلسة التي بين السجدتين هذا وَرَدَ جائزٌ. و إن كان نوعًا من الإقعاء.

أمّا الآن فإلىٰ بعض الأسئلة التي تتّصل بموضوع حديثنا

س: يقول السائل :نرجو منكم توجيهَ الشّباب إلىٰ احترام الدّعاة السلفيين وعدم الطّعن فيهم لأنّ الطّعن فيهم هو الطّعن فيما يحملونه من الدّعوة السّلفيّة ؟

الجواب: -نرجو أن لا يوجد هذا الصّنف- الطّعن في العلماء في الدّعاة -دعاة الحقّ- الأحياء منهم والأموات، أوّلًا: غيبةٌ وإن كانت النّاس في هذه الآونة تساهلت في أمر الغيبة وهو أمرٌ خطيرٌ، الطّعنُ في العُلماء يتضمّن التّنفيرَ من العُلماء، إذا طعنت مثلًا في عالمٍ جليلٍ معروفٍ لدينا جميعًا، لو طعنت فيه نفّرت النّاس من علمه وانتقصته، فَقَلّتْ الاستفادة منه فصرت من قطّاع الطريق في طلب العلم، ثمّ إنّ الطّعن حتّىٰ في الدّعاة غير السّلفيين من الدّعاة الخلفيّين والصّوفية، ودعاة الجماعات لا ينبغي الخوض

في أعراضهم والطّعن فيهم هكذا، لا، إنّما إن كنتَ داعيةً لك أن تُبين أخطاءهم، فتُحذّر النّاس من أخطائهم هذا نصحٌ من باب الجرح والتّعديل.

أمّا الخوض في أعراضهم -طالما هم مسلمون- والتفكّه بأعراضهم في المجالس العامّة لكونهم غير سلفيّين هذا خطأٌ، تَصَوُّرٌ خاطئٌ ، لا يجوز لك أن تغتاب مسلمًا طالما هو مسلمٌ والانتقاص منه والنّيل منه والتفكّه بلحمه لا، هذا حرامٌ، أمرٌ كبيرٌ، فما بالك إذا كان هذا في دعاة الحقّ السّلفيين الذين نفع اللهُ بهم العبادَ والبلادَ أنت تطعن فيهم لتنفّرَ النّاس منهم، وربّما تقع في الكذب من باب التّنفير، والوقوع في الكذب كذلك سَهُلَ علىٰ النّاس في هذه الآونة الأخيرة عياذًا بالله.

قد يوجد في علمائنا الأفاضل من نختلف معهم في بعض المسائل ومع ذلك يجب علينا احترامهم وتقديرهم لما يحملونه من العلم النافع والنّصح لعباد الله.

س: سائلٌ آخرٌ يسأل يقول: بعض الشّباب يحبّون الدّعوة إلىٰ الله لكن تعوّدوا أسلوبًا خاطئًا كأن يقولوا نحن لا نشدّد، نَسْتَمِيل قلوبَ النّاس فنتركهم علىٰ ما هم فيه من المخالفات، سواءٌ كانت المخالفة في العقيدة أو في الأعمال وارتكاب المعاصي والمخالفات لا نُنكر عليهم لنَسْتَمِيلهم؟

الجواب: إذا لم تُنكر عليهم هذا واستملتهم ماذا تريد منهم؟ ما هو الشّغل الذي أنت تعمله بعد أن تستميلهم؟ وهل أنت نسيت قوله ﷺ: «مَنْ رَأَىٰ مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ»[11] وأنت هنا تعيشُ في أمنٍ وأمانٍ لا تعجب أبدًا أن تقول لمرتكب المعصية اتّق الله يا زيد هذا حرامٌ، اتّق الله يا عمرو تركت واجبًا، اتّق الله يا بكر لا تجرّ ثوبك ولا تحلق لحيتك ولا تحلف بغير الله، بحُرِّيَتِك تقول هذا، هل تتصوّرون أنّه توجد أقطارٌ لا يستطيع الدّاعية أن يقول مثل هذا الكلام صراحةً، قد لا تتصوّرون وقد تتصوّرون وهو موجودٌ. الشّاهد محاولةُ التَّحَبُّب إلىٰ النّاس وترك إنكار المنكر والأمر بالمعروف بدعوىٰ الاستمالة هذه طريقةٌ خاطئةٌ لا يجوز أبدًا، بل طريقة استمالة النّاس وتقريب النّاس وكسب النّاس بغير هذه الطريقة، الإحسان إلىٰ النّاس والكلام الطيّب وعدم العنف والبِّر

---

(11) أخرجه مسلم (87)

وفعل الخير بهذا تستميل النّاس، أمّا إصرار الإنسان علىٰ المعصية وعلىٰ ترك الواجب بدعوىٰ الاستمالة هذا تزينٌ من الشّيطان، لا يجوز هذا.

س: سائلٌ آخرٌ يسأل فيقول: بحكم تجربتكم وطلبكم العلم، فهل طَلَبُ العلم وحفظ المتون والاشتغال بالفقه والبحث والقراءة يُنافي الاشتغالَ بمحبّة الله تعالىٰ والشّوق إليه وتذكّر الموت والجنّة والنّار وغير ذلك من التّفكّر والتّذكّر؟

الجواب: يا سبحان الله عجائب [..] الذي يحيي قلبك ويورِثك محبّة الله ومحبّة رسول الله ﷺ ويذكّرك الدّار الآخرة ويجعلك تتزوّد ليوم لقاء الله: طلب العلم والاشتغال بقراءة القرآن بتدبّرٍ، فينبغي أن يكون لدىٰ الحُفّاظ كُتيّبٌ يُفسر الكلمات المُفْردة الغربية في القرآن أو مصحفٌ في هامشه تفسير المفردات ليعينه علىٰ التدبّر، وإذا جاءك الملبّس قال: كونك تحفظ المتون وتحفظ القرآن و تقرأ وتكتب وتشتغل، شَغَلَكَ عن محبّة الله، ما هي محبّة الله؟ هذا جاهلٌ، الذي يجلب لك محبّة الله ومراقبة الله، العلمُ النّافعُ بالطّريقة التي شرحناها، وأمّا تزهيد النّاس في العلم، لعلّ هؤلاء هم الذين يريدون أن يأخذوا الشّباب في الخروج، أصحاب الأربعينات، هذا أسلوبهم، أسلوبٌ خاطئٌ، لا تقرب هؤلاء، بل هؤلاء يجب أن يكونوا محلّ دعوته، هم بحاجةٍ إلىٰ الدّعوة والإصلاح. يخرج الشّاب الجاهل يترك عمله، يترك تجارته، يترك طلب العلم، يترك أولاده فيسافر، يغيب أربعة أشهر، أربعين يومًا، أين أنت؟ خرجتُ في سبيل الله. ماذا عملتَ في سبيل الله؟ ما فعلت؟ لا، كنتُ أمشي مع الأحباب، أسمع كلام الأحباب، يا سبحان الله أليس المدرّسون في المسجد النبويّ والمسجد الحرام أحبابك؟ اذهب إلىٰ هؤلاء الأحباب تعلّم منهم ثمّ ارجع إلىٰ بيتك وإلىٰ عملك. تذهب مع الأحباب يقف الجاهل أمام النّاس يحكي حكاياتٍ ليست بعلمٍ وهو يستمع إلىٰ هذا، يزهّده في الاجتماع بطلّاب العلم وينتقد علىٰ من يسكن الفنادق، السكنُ المسجد، يجعل عبادةً ما ليس بعبادةٍ، يجعل من التّقوىٰ ما ليس من التّقوىٰ، هذا جهلٌ لأنّه ليس علىٰ بصيرةٍ، هذا الذي قلنا، الدّاعية يجب أن يكون عالمًا ذا بصيرةٍ، ابتعد عن هؤلاء، أدعو الله لهم بالهداية وحاول أن تردّهم إلىٰ الطّريقة الصّحيحة، هذه الطّريقة خاطئةٌ.

س: شابٌ يسأل -أسأل الله لي وله ولكم التوفيق- يقول يريد أن يكون شيخًا يعني شيخًا في العلم ليس في السّنّ، قد يرغب أن يكون كذلك شيخًا في العلم والسّن، يطول الله عمره -إن شاء الله- في طاعة

الله ، يرغب أن يكون شيخًا وداعيةً إلىٰ الله، -كأنّه يريد أن يعرف ماذا يعمل- وكيف يسعىٰ بالأسباب حتّىٰ يوفّقه الله فيكون عالمًا بصيرًا وداعيةً إلىٰ الله.

أولًا :أسأل الله تعالىٰ أن يحقّق لك هذه الأمنية وهذه الهمّة العالية، فنرجو من شبابنا أن يكونوا من هذا الطّراز أصحاب الهمّة العالية، الطريق سهلٌ وميسورٌ علىٰ من يسّره الله عليه، ابدأ بحفظ كتاب الله إن لم تحفظ بعد أو بحفظ ما تيسّر واحفظ كما قلت لك في الحديث المتون من كلّ مادةٍ ولو حفظتَ متنًا من المذاهب الأربعة المشهورة لكان خيرًا وركّز علىٰ حفظ المتون في علم الحديث ومصطلح الحديث واللّغة العربيّة، أيّها الشّباب اللّغة العربيّة ضاعت اليومَ، ضاعت ضياعًا، كان النّاس سابقًا، أهل المدن، يُرسلون أولادهم إلىٰ البادية ليتعلّموا اللّغة من أهل البادية لأنّ اللّغة الفصحىٰ عند أهل البادية، فاليوم العُجمة ربّما دخلت البادية وممّا يُؤسف له، هذا أمرٌ قد لا تأخذون بالكم لأجله، أصحاب المؤسّسات الذين يستقدمون العمّالَ والذي يعمل العمّال والخدم معهم ضيّعوا هؤلاء الخدمَ وضيّعوا اللّغة ولم ينصحوا لهم. الآن تجدّدت لغةٌ جديدةٌ لا هي عربيّةٌ لا عجميّةٌ: في نفر يجي، أنت متىٰ يجي وأنت يجلس وأنت يمشي، يا سبحان الله، تُريد أن تستفيد من العامل بهذه اللّغة المكسّرة ولم تنصح له، لو كنتَ ناصحًا إذا لحّنَ صَحَّحْتَ له، هذه لغة القرآن ليست لغةً عاديّةً اللهُ اختارها فأنزل بها كتابه الأخير. الأجانب يُقَدّرون لغتهم، عشتُ في باكستان فترةً من الزّمن فبدأت أكسّر لغتهم كما يكسّرون اللّغة العربيّة كانوا يقولون لا، نَيْ نَيْ، يصحّح حتّىٰ أنطق نطقًا صحيحًا فصيحًا مثلهم، لا يقبلون أبدًا أنّ أحدًا ما يُكسّر لغتهم وأنتم بأنفسكم تكسّرون معهم بدلًا من أن تقول: يأتيك شخص تقول يأتي نفر وأنت يجلس، هذه لغةٌ عربيةٌ؟! وأنت يمشي، هكذا بدأت اللّغة تضيع من جديدٍ ضياعًا. علينا أن نُعَلِّمَ شبابنا اللّغة العربيّة الفصحىٰ، لا يمكن أن تتذوّق القرآن ومعاني القرآن ما لم تكن متمكّنًا من الإعراب، طالب العلم كلّما يقرأ ولو جريدةً أو مجلّةً ينبغي أن يعرف المرفوعَ من المنصوبِ من المخفوضِ، تفكّر وأنت تقرأ تُعَوِّد نفسك أن تقرأ كلامًا معربًا، لا تسمع لهؤلاء المساكين الّذين يقولون اشتغالك بهذا يَحُولُ بيْنك وبيْن محبّةِ الله، المحبّةُ الّتي يعنون المحبّةُ الصوفيّةُ ليست المحبّةَ الشرعيّةَ، محبّة الله، العلم الصّحيح النّافع يورثك محبّة الله.

أيّها السّائل بدءً من القرآن ومتون في الحديث والمصطلح وعلم النّحو والصّرف، علم الصّرف مثل قواعد التّجويد تمامًا إذا حفظت متنًا واحدًا في التّجويد وطبّقت لست بحاجة إلىٰ أن تتوسّع لأنّ القواعد محصورةٌ معيّنةٌ، كذلك الصّرف تدرس النّحو، وتدرس الصّرف وتنظر في البلاغة طالما أنت بهذه الهمّة العالية، البلاغة أقسامٌ: معاني وبيان و بديع، اهتم بقسم المعاني والبيان، والبديع ليس ببديعٍ وليس بشيءٍ، زخرفةُ الكلام فقط في الغالب الكثير.

الشّاهد انقطع في صغرك أو في شبابك لطلب العلم، هل تعلم أن طلب العلم عبادةٌ، واجبٌ، أنت في عبادة لا تحسب أنك تركت العبادة، لا، ثمّ إنّ العلم هل يحول بينك وبيْن قيام الليل؟ هل يحول بينك وبين أن تُعَوّد نفسك صيام يوم الاثنين والخميس وأن تذهب إلىٰ الحرمين تصلّي هناك في الصّفوف الأول تزاحم العبّاد هناك؟ لا، بل يحثّك علىٰ ذلك، هذا هو العلم، هذه هي الطريقة، ثمّ إذا حفظت المتون عليك بالعرض علىٰ أهل العلم، تعرض محفوظاتك علىٰ العلماء يشرحوا لك ويُبينوا لك، تأخذ العلم من أفواه الرّجال لا من بطون الكتب، بهذه الطّريقة وبمجالسة أهل العلم وأهل الخير، ودعاة الحقّ وبمجانبة والابتعاد عن دعاة الباطل وعن المُلبّسين وعن الذين يزهّدونك في العلم ويرغّبونك في الأساليب الرّخيصة كتلك الطلعات والقصائد والأناشيد، ابتعد عن هؤلاء، دائمًا تكون مع أهل العلم والمعرفة وأهل محبّة الله العلماء العاملين، كم سَرنّي في الصّيف الماضي عندما رأيت بعض شبابنا من جدّة يطلعون الطّائف يوم الخميس ويوم الاثنين ليحضروا دروس الشّيخ عبد العزيز ابن باز، ذكّرَتْنِي تلك الرّحلة القصيرة رحلةَ أهل العلم سابقًا إلىٰ صنعاء حيث عبد الرزّاق الصّنعاني، لابدّ من صنعاء وإن طال السّفر، كانت صنعاء بعيدةً واليوم عندنا ينبغي أن يرحل طالب العلم لطلب العلم إذا لم يجد في محلّه، لا تنتظر أن يأتيك العالم في بيتك وفي مسجدك، اذهب إلىٰ الرّياض، إلىٰ الطّائف، إلىٰ مكّة والمدينة، تعلّم مع العبادة وأنت الآن منقطعٌ لتحصيل العلم ولعبادة الله ﷻ هذا ما أنصح به هذا الشّاب الطّموح الذي أسأل الله تعالىٰ أن يحقّق أمنيته.

س: سائلٌ آخرٌ يقول كنت أصلّي إمامًا بالنّاس وتركت التّشهّد الأوسط -يعني التّشهّد الأوّل لا الأوسط- سهوًا، فسجدت سجدتين للسّهو. فقام أخي من المصلّين وقال يجب أن نصليّ ركعةً أخرىٰ مُدّعيًا أن التّشهّد الأوسط -غيّر عبارتك هذه أيّها السّائل قل التّشهّد الأوّل، الأوسط إذا كان هناك ثلاثة

أشياءٍ، الأوّل والوسط والثالث فما عندك إلّا التّشهّد الأوّل والثاني عندك الأوسط- مدّعيًا أنّ التّشهد الأوّل -أنا أقرأ عبارتك كما كتبتَ انتبه -مدّعيًا أنّ التّشهّد الأوسط ركنًا هذا صحيح ركنًا؟ منصوب؟ أُعيد مرّةً أخرىٰ، مدّعيًا أنّ التّشهد الأوّل ركنٌ -هكذا، هذا ما قلته قبل قليلٍ انتبهوا للغة نفر، جاء نفر و راح نفر-، من الأركان، أفيدونا مشكورين؟

الجواب : بالاختصار إذا نسي الإمام التّشهّد الأوّل علىٰ المأمومين متابعته ولا يسبّحون له، من يسبّح للإمام إذا نسي التّشهد الأول فقام يعتبر أنّه جاهلٌ يجب أن يتعلّم، الصّلاة التقليدية لا تنفع يجب أن تكون فاهمًا لأعمال الصلاة، صفة صلاة النبيّ ﷺ لخَّصَها كثيرٌ من العلماء اقرؤوا، التّشهّد الأوّل عند بعض أهل العلم سنّةٌ والصّحيح أنّه واجبٌ ليس بركنٍ، الركن ماهية الشّيء، حتّىٰ إذا تركته صلاتك تَبْطُل، كقراءة الفاتحة والقيام والرّكوع والسّجود والتّشهّد الأخير. التّشهّد الأوّل إذا نسيه الإمام فقام لا يُسبَّح له بل يُتبع وفي آخر الصّلاة يسجد، له أن يسجد قبل السّلام وله أن يسجد بعد السلام ، وإنّما يختلف أهل العلم متىٰ يكون السّجود قبل السّلام أفضل أو بعد السّلام، إن كان سبب السّجود الزّيادة الأفضل أن يكون السّجود بعد السّلام وإن كان نقص يكون قبل السّلام، والقول بأنّ هذا التّشهّد الذي سمَيْتَه -أيّها السّائل- الأوسط بأنّه ركنٌ لا أعلم أحدًا من أهل العلم قال بهذا -أنّه ركنٌ- وإنّما قَوْلَيْ أهل العلم بيْن السُّنيّة والوجوب، وإنّما يُسبَّح للإمام إذا نسي التّشهّد [الأخير] إذا قام للخامسة مثلًا في الرّباعيّة هنا لا يجوز متابعته. تُسبّح له وتجلس، إن اقتنع فتذكّر فرجع فذاك إن لم يقتنع بتسبيحك واستمرّ تجلس فتتشهّد وتدعو وتصلّي علىٰ النبيّ ﷺ فتنتظره حتّىٰ يعود فيسلّم. لأنّه إن لم يتيقّن قال: أنا لا أعود حتّىٰ أتيقّن له عذره، صلاته لا تبطل لكن أنت طالما أنت متأكّدٌ أنّ هذه الرّكعة خامسةٌ لو اتّبعت بطلت صلاتك. هنا يُسبَّح للإمام في التّشهد الأخير.

س: سائلٌ يسأل فيقول: -يؤكّد أنّه لا يقصد إلّا وجه الله بسؤاله هذا- إن كان هناك خطأٌ -الظاهر- من عُلمائنا [...] فلابدّ من النصيحة لهم -إن كان السائل موجودًا العبارة هذه ما هي واضحة- ومنْعِهم من الخطابة بأسلوبٍ حسنٍ علمًا بأن فتح المجال الخطابي لبعض الجماعات خطأٌ.

الجواب: هذا السّؤال مضمونه يرىٰ أنّ الخطابة والمنابر ينبغي أن تكون لدعاة الحقّ ولا ينبغي أن يُفتح المجال لمن لا نرضىٰ عقيدته أو سلوكه أو اتّجاهه. أقول وجّه هذا السّؤال بغير هذا الأسلوب إلىٰ

المسؤولين عن المساجد وعن تعيين الأئمّة في المساجد، لأنّ ما ذكرته صوابٌ، ينبغي اختيارُ أئمّة المساجد من خيرة طلّاب العلم علمًا وعملًا وخُلُقًا وفهمًا وقبل ذلك كلّه سلامة العقيدة وتجريد المتابعة لرسول الله ﷺ، تجريد المتابعة لرسول الله ﷺ هذه وإخلاص العبادة مَأخوذان من قولك أشهد أنّ لا إله إلّا الله وأشهد أنّ محمّدًا رسول الله، فإذا كان الخطيب يدعو لغرضٍ معيّنٍ ولهدفٍ معيّنٍ ولجماعةٍ معيّنةٍ وقصده الانتقاد والانتقاص لمن يخالفهم لا، هذا ما يصلح ولكن من الذي يستطيع أن يقول لا يصلح ليس مثلي ومثلك، المسؤولون عن المساجد بتعيين الأئمّة والمؤذّنين هم الذين يستطيعون، لهم صلاحية أن يقولوا لا يصلح زيدٌ للإمامة لما فيه من كذا وكذا فيغيّر فيُعيّن غيره من أهل العلم والمعرفة والبصيرة وسلامة العقيدة.

س: سائلٌ يسأل فيقول: إنّ كثيرًا -أيّها السّائل أنت كتبت إنّ كثيرٌ غلط، لحنٌ- إنّ كثيرًا من الشّباب يقول إنّ التّمثيل طريقٌ في الدّعوة إلىٰ الله.

الجواب :لماذا هذه الجرأة أيّها السّائل أو أيّها القائل، علماؤنا الأوّلون أهل الورع الواحد يتورع أن يقول هذه سبيل الله، هذا واجبٌ، وهذا محرّمٌ حتّىٰ يتأكّد. كان الإمام مالك يقول أنا أكره كذا وكذا عندما يحكي المحرّمات، لماذا تفتري علىٰ الله كذبًا، يقول أنّ التّمثيل طريقٌ في الدّعوة إلىٰ الله، التّمثيل أقلّ ما فيه الكذب، اترك كلّ شيءٍ كونه فيه الكذب هذا واضحٌ، وهل الكذب طريقٌ للدّعوة إلىٰ الله؟ ما وَجَدتَ طريقًا للدّعوة إلىٰ الله حتّىٰ تكذبَ وتمثّلَ؟ اتّق الله أيّها السّائل أو أيّها القائل، هذا لا يجوز، هذا تأثّرٌ، تأثّرتَ بالأفكار الواردة، ذكرتُ لك قبل قليلٍ، علينا أن نسلك طريقَ المُصلحين الأوّلين، نبتعد عن سفاسف الأمور ونرتفع عن سفاسف الأمور إلىٰ المعالي، طريقُ الدّعوة إلىٰ الله مسلوكٌ معروفٌ، من طريق الدّعوة إلىٰ الله أوّلًا العلم والعمل، إذا تعلّمتَ وطبّقتَ علمك، دعوتَ النّاس إلىٰ الله بعملك وتطبيقك العمليّ إذا عُرِفتَ بين النّاس بأنّك عالمٌ مطبّقٌ بعلمه، يعمل بعلمه، وعُرفت بكثرة العبادة وأنت ما تريد إلّا وجه الله لكن تقربّك هذا وعملك هذا يكون دعوةً إلىٰ الله، أمّا التّمثيل هذا من سبيل الطَّلَعات والرَّحلات السّياسيّة، ابتعدوا عن هذا الأسلوب، أسلوبٌ ضارٌّ قد ضَرّ كثيرًا من شبابنا ولكنّ الله مَنَّ علىٰ بعضهم بالتّوبة فتاب، والله المستعان.

س: شابٌّ يسأل فيقول: الشّباب في مدينة جدّة توّاقون إلىٰ العلم -الحمد لله علىٰ ذلك- إلىٰ العلم النّافع والعلماء هم -أخطأت في الإملاء فلم أستطيع قراءة سؤالك- وهم ضالّتنا بالضاد ولا بالظاء- في هذا الزمن -يعني العلماء ضالّتهم، ينشدون عن العلماء توّاقون إلىٰ العلماء وإلىٰ العلم نرجو من الله ثمّ منكم إقامة دروسٍ في العقيدة ولو بشكلٍ أسبوعيٍّ أو شهريٍّ.

الجواب: «اِثْنَانِ لَا يَشْبَعَانِ: طَالِبُ عِلْمٍ وَطَالِبُ الدُّنْيَا»[12] وأنت طالبُ علمٍ لا تشبع لكن ليس في إمكاني أن آتي أسبوعيًّا للتّدريس، لكن -إن شاء الله- سوف أُنظّم شهريًّا درسين أو ثلاثةً، أحاول هذا كما أحاول مع زملائي أو مع بعض زملائي أن ينظِّمُوا لكم دروسًا وأنا أعلم أنتم بحاجةٍ والمدينة بحاجةٍ وربّما ذكرتُ لبعض الشّباب أن يكتبوا إلىٰ بعض المسؤولين فيطلبوا منهم أن يُرتّبوا بعض المُدرّسين في مدينة جدّة فنسأل الله لنا ولكم التّوفيق.

س: سائلٌ يسأل سؤالًا نحويّا يقول:-بعد أن دعا لي، أجاب الله دعوته لي- لقد أشكل عليَّ مَثَلُ: مُكْرَهٌ أَخَاكَ لَا بَطَلٌ[13] يقول فلماذا قيل أخاك، وحقّه أن يرفع، مكرهٌ أخوك لا بطل. أرجو حلّ هذا الإشكال ولكم الشّكر.

الجواب: أنا أحمد الله أنّه يُوجد من شبابنا من يُدرك هذا الإدراك، هذا مَثَلٌ، هذه لغةٌ من يُعرب الأسماء الخمسة بألفٍ، الأسماء الخمسة أبوك، أخوك، ذو مال هذه الأصل: الرّفع بالواو والنّصب

---

(12) في مسند البزار عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَفَعَهُ قَالَ: «مَنْهُومَانِ لا يَشْبَعَانِ طَالِبُ عِلْمٍ وَطَالِبُ دُنْيَا». وانظر صحيح الجامع (6624)

(13) هذا مثل مشهور من أمثال العرب، ذكره الميداني مرتين، إحداهما في حرف الميم: (2/ 318) برقم (117)، والثانية في حرف الثاء أثناء شرح قولهم في المثل: شكل أرأمها ولدا: (1/ 152) برقم (771). ويضرب للرجل، يحمله غيره علىٰ ما ليس من شأنه.

وقصة هذا المثل: أن رجلا يدعىٰ أبا حنش، قال له خاله -وقد بلغه أن ناسا من أشجع في غار يشربون وهم قاتلون إخوته: "هل لك في غارٍ فيه ظباء لعلنا نصيب منها؟ وانطلق به حتىٰ أقامه علىٰ فم الغار، ثم دفعه في الغار، فقال: ضربا أبا حنش، فقال بعضهم: إن أبا حنش لبطل، فقال أبو حنش: مكرهٌ أخاك لا بطل.

وحاصل ما ذُكر أن (أب وأخ وحم) يجوز فيها ثلاث لغات: الإتمام والنقص والقصر.

الإتمام: هو أن ترفع بالواو، وتنصب بالألف، وتجر بالياء.

والنقص: أن ترفع بالضمة، وتنصب بالفتحة، وتجر بالكسرة.

والقصر: أن تكون بالألف دائماً، فتعرب بحركات مقدرة علىٰ الألف.

بالألف لكن هناك من يلزم حتّىٰ في المثنىٰ أيضًا من يلتزم الألف، بعد أن تقرأ متن الآجروميّة ومتمّمة الآجرومية وتقرأ في ألفيّة ابن مالك وينضج عِلمُك في الإعراب تدرك أنّ هذه اللّغة فصيحةٌ وليست بخطأٍ ولكن لغةُ من يلتزم بالألف.

س: سائلٌ يسأل: هل يُوجد في القرآن الكريم ميم الزائدة أم في اللّغة دون القرآن أفيدونا جزاكم الله خيرًا؟

الجواب: كثيرًا ما يمرّ عليك في علم التّرتيل أنّ من هنا زائدةٌ والفاء زائدةٌ والكاف زائدةٌ ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ ١١﴾ [الشورىٰ: ١١] مثلًا يقولون الكاف هنا زائدةٌ، ليس مثله شيءٌ، معنىٰ الزيادة: ليس هناك حرفٌ زائدٌ لا معنىٰ له ولا فائدة فيه في القرآن ولا في اللّغة العربيّة، إذا قيل هذا الحرف زائدٌ أي أُتِيَ به لمعنىٰ زائدٍ من معاني ذلك الحرف لأن لكلّ حرفٍ معان والكاف هنا لا يقصد بها التّشبيه، الكاف الأصل فيها للتّشبيه، ولكن جيء بها هنا لتأكيد النّفي ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ ١١﴾ كلّ حرفٍ قيل فيه أنّه زائدٌ في القرآن أي أُتيَ به لمعنىٰ زائدٍ علىٰ المعاني الأصليّة لذلك الحرف.

س: سائلٌ آخرٌ يسأل فيقول: هل صفات الله كلّها أزليّةٌ لأزل الله أم بعضها مخلوقٌ؟

الجواب: أَكْرَهُ شيْءٍ عندي الطّالب الذي يجرؤ علىٰ الله، عندما يتحدّث علىٰ الله كأنّما يتحدّث عن مخلوقٍ، هذا الأسلوب خطأٌ، حُسْنُ السّؤال نصف العلم. لك أن تقول هل صفات الله تعالىٰ كلّها أزليّةٌ قديمةٌ قِدم الذّات أم لا؟ وكلمة مخلوقةٌ لا، خطأٌ لا أحد يقول أنّ صفةً من صفات الله مخلوقةٌ، أخطأت في التّعبير أرجو أن يكون هذا مجرّد خطأٍ في التّعبير لا في الاعتقاد، إن كنت تعتقد أنّ صفةً من صفات الربّ ﷻ مخلوقةٌ كالكلام لَحِقْتَ بالمعتزلة ثم بالأشعريّة الكُلّابية.

الجواب: صفات الله تعالىٰ تنقسم إلىٰ قسمين: صفاتٌ ذاتيّةٌ وصفاتٌ فعليّةٌ، الصّفات الذاتيّة كلّها سواءٌ كانت عقليّةٌ أو خبريّةٌ، قديمةٌ قِدَم الذّات، عِلْمُ الله، قُدرة الله، وجهُ الله، يدُ الله، علوُّ الله، سمعُ الله، بصرُ الله، هذه الصّفات يُقال لها صفاتٌ ذاتيّةٌ قديمةٌ قِدَمَ الذّات لا تتجدّد. وهناك صفاتٌ فعليّةٌ، أفعالٌ فَعَلَها ربّ العالمين، هذه الصّفات تتجدّد، صفة الاستواء من صفات الأفعال لأنّ الله أخبر بثمّ ﴿ثُمَّ

ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ﴿٥٩﴾ ﴾ [الفرقان: ٥٩]، النّزول من صفات الأفعال، «يَنْزِلُ رَبُّنَا...»[14] ، المجيء من صفات الأفعال يجيء يوم القيامة لفصل القضاء[15]، لكن لا يُقال أنّها مخلوقةٌ ولكن يُقال: الله أحدثها بالفعل في الوقت الذي أراد، صفاتٌ مُتجددّةٌ حسب إرادة الربّ ﷻ وحكمته لا يُقال فيها مخلوقةٌ.

بالنّسبة للسّؤال المتعلّق بالطّلاق خصوصًا في حالة الغضب، بحمد الله لدينا علماء أصحاب الفتوىٰ الذين عملهم حَلّ مثل هذه المشاكل، يطلبون الزّوج والزّوجة ووليّ أمرها ويحقّقون معهم حتّىٰ يتأكّدوا من نوْع هذا الغضب، هل فقد الشّعور أم لا، لذلك أُحيل هذا السّائل علىٰ أهل الفتوىٰ.

س: سائلٌ يسأل يقول: قرأت في كتاب فقه السّيرة النبويّة للبوطي يقول أنّه يجوز شدُّ الرِّحال إلىٰ قبر رسول الله ﷺ ويقول لم يخالف في هذا إلّا ابن تيميّة ثمّ يقول والدّليل ما أجمع عليه المُسلمون من دونه -أظن- عدّة وجوهٍ ثمّ مشروعيّة زيارة القبور عمومًا واستحبابًا ثمّ ما ثَبَتَ من إجماعِ الصَّحابة والتَّابعين ومن بعدهم علىٰ زيارة قبر رسول الله ﷺ كلّما مرّوا علىٰ الرّوضة، روىٰ ذلك الأئمّة الأعلام بمن فيهم ابن تيميّة. ثمّ ما ثبت من زيارة كثيرٍ من الصّحابة قبر رسول الله ﷺ منهم بلال. ثمّ ردَّ علىٰ ابن تيميّة ويقول: ومنهم ابن تيمية [...] من كلمة شدّ الرّحال معناها الحقيقي أو المجازي الذي هو القصد والعزم ..الخ نرجو التّوضيح؟

---

(14) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَىٰ ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟.

أخرجه البخاري (1145) ومسلم (1721) قال العلّامة الألباني كما في صحيح الأدب المفرد (584): هذا الحديث بهذا اللفظ صحيحٌ متواترٌ، كما شهد بذلك حفاظ الحديث، منهم ابن عبد البر في "التمهيد" (7/ 128)، وقال: «وفيه دليل علىٰ أن الله عز وجل في السماء علىٰ العرش من فوق سبع سماوات كما قالت الجماعة، وهو من حجتهم علىٰ المعتزلة والجهمية في قولهم: إن الله عز وجل في كل مكان».

قلت: ومن أذنابهم من يتظاهر بتكفيرهم لقولهم هذا، ثم يصرح بما هو شرٌّ منه، وهو جحد وجوده تعالىٰ، فيصفه بما يصف به المعدوم، فيقول: ليس داخل العالم ولا خارجه!! تعالىٰ الله عمّا يقول الظالمون علواً كبيراً.اهـ

(15) قال تعالىٰ: «هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك» ذكر ابن جرير (12/ 245 - 246) في قوله: {أو يأتي ربك} عن قتادة وابن جريج: يوم القيامة ونحوه عن ابن مسعود وغيره.

الجواب: هما سؤالان، السّؤال الأوّل: حكم زيارة القبور بما في ذلك قبر رسول الله ﷺ. زيارة القبور سُنّةٌ بالإجماع ولكن ذكرَ بعض أئمّة الدّعوة أنّ زيارة قبر النبيّ ﷺ إذا تمّت بدون شدّ الرّحال من أقرب القُربات، يستكثر بعضهم أن يكون هذا التّصريح من أئمّة الدّعوة ولا غرابة لأنّ الحكمة من زيارة القبور تذكّرُ الآخرة حيث قال النبيّ ﷺ: «كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ أَلَا فَزُورُوهَا فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الْآخِرَةَ»[16] أيُّ قبرٍ يذكّرك بالآخرة ويزهّدك في الدّنيا ويبعثك علىٰ العمل لآخرتك مثل وقوفك عند قبر رسول الله ﷺ؟ إذا وقفتَ علىٰ قبره وتذكّرت حياته في ذلك المسجد وفي تلك المدينة ثمّ انتقاله إلىٰ الرّفيق الأعلىٰ وتركه لهذه الدنيا، ليس هناك شيءٌ يبعثك علىٰ العمل لآخرتك والزّهد في الدّنيا مثل تلك الوقفة أمام قبر النبيّ ﷺ وأنت تقول الصّلاة والسّلام عليك يا رسول الله. ثمّ تسلّم علىٰ أبي بكرٍ وعمر، ذلك الموقف لمن قلبه حيٌّ صحيح إنّه يعالج، يجعلك تتذكّر الموت ويقلّل فيك الحرص وطول الأمل، هذا حكم زيارة القبور.

وأمّا شدّ الرّحال، قول البوطي لم يخالف إلّا ابن تيميّة هذه مجازفةٌ، مجازفةٌ منه وليس هذه لأوّل مرّة وهو معروفٌ بمجازفاته، وابن تيميّة عندما نَهىٰ النّاس عن ذلك هل برأيه أم بدليل؟ «لاَ تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلاَّ إِلَىٰ ثَلاَثَةِ مَسَاجِدَ: الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَمَسْجِدِي هَذَا، وَالْمَسْجِدِ الأَقْصَىٰ»[17] فمن سافر إلىٰ المدينة قاصدًا مسجدَ رسول الله ﷺ إنّما شدَّ الرِّحال إلىٰ المسجد ثمّ بعد التعبّد في المسجد وصلاة تحيَّة المسجد في الرّوضة أو في غيرها، هُنا يسَلِّم علىٰ النبيِّ ﷺ لكن لا يجوز له أن يشدَّ الرّحال لقصد القبر لهذا الحديث لا لقول ابن تيميّة، البوطي قد قال في مجازفاته -بالنّسبة للإمام مالك- قال: لا يسعنا اليوم أن نقول كما قال الإمام مالك: الاستواء معلومٌ والكيف مجهولٌ، أي لا يسعه ما وسع المسلمين الأوّلين من الأئمّة الأربعة وغيرهم، لماذا؟ لأنّه دَرَسَ قواعد اللّغة العربيّة والبلاغة، له أن يفهم ما لم يفهمه الإمام مالك لذلك سَمَّيْتُ تصرّفَه هذا مجازفةً وعدم احترام السّلف الصّالح، لا ينبغي أن يغترَّ الإنسانُ بهذا الدّكتور وخُصوصًا كتابه: كُبرىٰ اليقينيَّات، فيه البلايا.

---

(16) قوله ﷺ: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ، فإنها تذكركم الموت» رواه مسلم (2220). وللترمذي (1054): «فإنها تذكر الآخرة»

(17) أخرجه البخاري (1189) ومسلم (3364)

قبل أن نترك هذا السّؤال: التّصريح أحيانًا بأسماء الرّجال وبيان أخطائهم، إذا كان علِم الله من الشّخص يُريد بيان الحقِّ والدِّفاع عن الحقِّ وردِّ الشّبهة يُعتبر نصيحةً وليس من الغيبة في شيءٍ، هذا ما يفعله رجال الحديث، يقولون فلانٌ كذّابٌ، فلانٌ دجّالٌ، إيش قصدهم؟ ينصحوا طلّاب العلم أن لا يأخذوا رواياته، هذا من هذا القبيل ولا يبيح لنا في المجالس العامة والخاصة أن نتحدّث ونقع في أعراض النَّاس ولو خالفونا إلّا بهذه النيّة وبهذه الطّريقة، فليُعلم.

س: شابٌّ نشيطٌ يسأل: يقوم بالعمرة في كلّ أسبوعٍ، أحيانًا يعتمر عن نفسه وأحيانًا يعتمر عن والدته وأحيانًا لبعض إخوانه وهكذا في كلِّ أسبوعٍ عنده طلعةٌ إلىٰ مكّة، هذه طلعةٌ مباركةٌ، طلعةُ عبادةٍ، رحلةُ عبادةٍ، هنا قد يكون فيكم من يذهب بمذهب المالكية، المالكية تكره تكرار العمرة في السَّنةِ أكثر من مرّةٍ، وهذه الكراهة لا أصل لها وقد حثّ النبيُّ ﷺ علىٰ تكرار العمرة في قوله: «الْعُمْرَةُ إِلَىٰ الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا»[18] هذا حثٌّ، تعتمر في هذا الأسبوع وما يقع من الصغائر في هذا الأسبوع تكفّره العمرة الثّانية وهكذا، ثمّ إنّ هذا الشّاب النّشيط لم ينس والدته الميتة، لأنّ الأقارب الذين ماتوا من الوالدين من الإخوة والأخوات والأعمام والعمّات لك أن تعتمر عنهم إذا ماتوا أو كانوا عاجزين عن السّفر، فزادك الله حرصًا وعُدْ إلىٰ ما فعلت، و بارك فيك وتقبّل منك.

س: ننتقل إلىٰ وادٍ آخر يقول السّائل: يقول أحد الدّعاة: إنّ الإسلام موجودٌ هنا عندنا وروحه في أوروبا، اسمعوا العجائب، الإسلام ذاته وظاهره موجودٌ هنا عندنا في دار الإسلام -في هذا البلد مثلًا وفي غير هذا البلد من بلدان المسلمين- لكنّ روح الإسلام أين؟ في أوروبا. هل هذا الكلام له معنىٰ؟ هذا تضليلٌ، كلامٌ لا معنىٰ له وهذه دعوةٌ إلىٰ الشرّ. كذلك بعضهم يقول إنّ هنا مسلمون بلا إسلامٍ وهناك إسلامٌ بلا مسلمين، هذه العبارة قديمةٌ قالها محمّد عبده عاش في فرنسا وتعوّد عادات الأوربيّين، رجع إلىٰ بلده فصرّح بهذا وكان أتباعه يسمّونه الإمام، يعتبرون هذا الكلام كلام الرّجل العبقريِّ، العبقريُّ الذي يفهم أنّ الإسلام يُوجد في أوروبا بدون مسلمين ويوجد في شرقنا الإسلاميِّ مسلمون بلا إسلامٍ، ما الذي يوجد في أوروبا؟ إذا كان في عهد محمّد عبده ينطلي هذا الكلام علىٰ السّذّج، وهل اليوم ينطلي

---

(18) أخرجه البُخاري (1773) ومسلم (3268)

علىٰ الشّباب، ما الذي يوجد في أوروبا؟ الخمور والفجور والفسوق، أين الإسلام الذي في أوروبا، والأوروبيّون يكذّبون لو قُدّم لهم هذا الكلام، هم أنفسهم يكذّبونه، الأوربيّون يعترفون بأنّ الإسلام هنا ذاتًا وروحًا، هذا الكلام باطلٌ لا ينبغي أن ينطليَ علىٰ الشّباب فلينتبهوا.

س: شخصٌ ادّعىٰ أنّه يهذّب مدارج السّالكين -مدارج السّالكين للإمام ابن القيّم تهذيبٌ لمنازل السّائرين للهروي، الهروي فيه نزعةٌ صوفيّةٌ ولعلّه في آخر حياته اعتدل كما تدلّ عليه بعض مقالاته أو بعض كتبه-، الشّاهد هذّب هذا الكتاب الإمام ابن القيم في كتابه الذي سمّاه مدارج السّالكين ولكنّ هذا التّهذيبَ لم يقض علىٰ بعض الشّطحات في الكتاب ليس هذا هو المقصود، المقصود ما قاله المؤلّف الجديد يقول غايتنا إعانة شباب الإسلام علىٰ تزكية قلوبهم وتعميرها بأخلاق الإيمان -يعني هدفه من تأليف الكتاب- دون إقلاقهم بذكر البدع والردِّ عليها، ذكر البدع وبيان البدع يقلق الشباب بل ذكر البدع والرد علىٰ البدع ينفر النّاس من مجلس الدّاعية، الدّاعية الذي قصده التّجميع يجمع، لا يقول لمن أخطأ أنت أخطأت ولمن ابتدع أنت ابتدعت اتق الله ولمن خالف الشّريعة أنت خالفت الشّريعة، لا، هذا الصّنف من الدّعاة يهمّهم أن يكثرَ أتباعُهم الذين يصفّقون ويهتفون، هذا الغرض وهذا المعنىٰ هو الذي جعل كثيرًا من دعاة الجّماعات ينتقدون المنهج السّلفيّ الذي يقول للبدع بدع وللسُّنَّة سُنّة، ويدعون النّاس إلىٰ إحياء السُّنّة والعمل بالسُّنّة. هذا الكلام خطيرٌ لا ينبغي، ليس من النّصح في شيءٍ أن تُوهم الشّباب أنّك لا تريد أن تذكر البدع والردّ عليها لأن لا تشوّش عليهم، لا، هذا خطأٌ منك أيّها المؤلّف، يقول فإنّ أكثر أهل البدع اليوم تكاد لا تجد لها معتنقًا هذا غير صحيحٍ خلاف الواقع، بدعةُ الصّوفيّة موجودةٌ الآن بكثْرةٍ، منتشرةٌ، في كثيرٍ من الأقطار تُوجد مشيخةٌ تُسمّىٰ مشيخة الصّوفيّة، مجلسٌ كبيرٌ يُسمىٰ مشيخة الصّوفيّة والتّصوّف بدعةٌ، سوف نُبَيّنْ كيف كان بدعةً. وعِلْم الكلام مبتدعٌ، منتشرٌ اليوم والذين ابتُلوا بدراسة علم الكلام والفلسفة والمنطق كثرٌ، كيف نقول لا يوجد من يعتنق هذه البدع؟ الصّوفيّة في أصل نشأتها -يقول الإمام ابن تيمية- نشأت في البصرة وفي البداية بدأت بالزّهد في الدّنيا والتّقشّف والانتقاء للعبادة، هذا القدر مقبولٌ ومطلوبٌ، يقول: ثمّ دخلت فيهم الزّندقة والملاحدة

وانتهىٰ أمر الصّوفيّة إلىٰ وحدة الوجود، إلىٰ دين ابن عربي الطّائي[19] الذي نفىٰ الاثنَيْنِيَّة في الكون وادّعىٰ أنّ هذا الكّون كلّه من عيْنٍ واحدةٍ بل عينُ واحدةُ

الرّبّ عبدٌ والعبد ربٌّ ليت شعري من المُكلَّف

هذا ما يقوله ابن عربي الطّائي صاحب الفرقة الضّالّة وحدة الوجود. وكون هذا المؤلّف يقول لا توجد اليوم البدع ومن يعتنق البدع، صحيحٌ إنّ جماعة وحدة الوجود لا توجد اليوم علنًا لكنّ الصّوفية العاديّة تُؤمن بفكرة وحدة الوجود، يرون أنّه خاتم الأولياء ويقدّسونه، والعجيب من أمر البوطي مرّةً أخرىٰ في كُبْرىٰ اليَقِنيّات يكفّر المعتزلة الذين يشاركهم هو في بعض الاعتقادات وينصح بعدم تكفير ابن عربي في الكتاب نفسه، المعتزلة والأشاعرة مُشتركون في القول بخلق القرآن، لسْتُ أدري أين ذَهَب فهمُهُ عندما كفّر المعتزلة وهو يُشاركهم في عقيدة خلق القرآن. الشّاهد هذه التّناقضات كما قال بعض أهل العلم أمرٌ لازمٌ لكلِّ مَنْ خالف الكتاب والسُنَّة ومنهج السَّلف الصَّالح، لابدَّ أن يتناقض في كتابٍ واحدٍ [20] [هذه قاعدة أساسية مُسَلَّمٌ بها]

س: سائلٌ يستفسر عن درس الفتوىٰ الحموية –هذه الرسالة العظيمة التي بدأنا فيها ونحن لا نزال في مقدّمتها– يسأل السّائل عن تنظيم هذا الدّرس، ومتىٰ سيكون موعد الدّرس؟ وفي أي يومٍ من أيّام الأسبوع؟ لِيَتَسَنّىٰ الحضور لمن يرغب وتحصل الفائدة إن شاء الله.

الجواب: بعد عودتي –إن شاء الله– إلىٰ المدينة غدًا أو بعد غد سوف أُنسّق بين دروس المسجد النّبويِّ وبيْن درسنا في هذا المسجد حتّىٰ أبعث لكم بالجدول بتوفيق الله تعالىٰ.

---

(19) وهو محي الدين محمد بن علي بن محمد بن أحمد أبو بكر الطائي الأندلسي الصوفي، المعروف بابن عربي بالتنكير تمييزا بينه وبين القاضي أبي بكر بن العربي، اشتهر بتصوفه، وكان له شعر يدل علىٰ اعتقاده بوحدة الوجود، مات سنة (638هـ). العبر: (5/ 158)؛ لسان الميزان: (5/ 307).

(20) في هذا الموضع انقطاع في التسجيل، وقد أتممنا النقص من كلام الشيخ رَحِمَهُ اللهُ من شريط (الرد علىٰ الأشاعرة والمعتزلة)

س: سائلٌ آخرٌ يسأل: ما هي الكتب التي تنصح بقراءتها في العقيدة، في التّفسير، في الحديث وعلومه، وفي الفقه؟

الجواب: أوّلُ رسالةٍ أنصح بها لمن يُريد أنْ يبدأَ في طلب العلم أن يحفظ «الأصول الثّلاثة وأدلّتها وأركان الصّلاة وواجبات الصّلاة وشروط الصّلاة»، نسخةٌ جامعةٌ لهذه المعلومات، مع «القواعد الأربعة»، ويُستحسن أن يحفظ أيضًا «شروط لا إله إلا الله ونواقض لا إله إلا الله»، ينبغي أن يحفظ هذه المسائل حفظًا جيّدا، ثمّ يعرض علىٰ طلّاب العلم ليأخذ العلم من أفواه الرّجالِ لا من بُطون الكتب. بعد هذا إن تيسّر له أن يحفظ «كشف الشُّبهات» فَحَسَنٌ ولكنّ الكتابَ الذي لابدّ منه أن يحفظَ فيدرسَ طالبُ العلم في باب العقيدة خصوصاً في توحيد العبادة وتوحيد الحاكميّة بالأسلوب الجديد هو «كتاب التوحيد الذي هو حق الله علىٰ العبيد» كتابٌ عظيمٌ وهو عبارةٌ عن الآيات المختارة من كتاب الله تعالىٰ والأحاديث النّبويّة وآثار بعض أهل العلم، كتابٌ نَفَعَ اللهُ به كثيرًا، فننصح شبابنا أن يهتموا بهذا الكتاب حفظًا وفهمًا، وبالنّظر في شروحه حتّىٰ يكونوا علىٰ يقينٍ في هذا الباب -باب العقيدة-، ثم بعد ذلك بالنّسبة لتوحيد الأسماء والصّفات، علىٰ الطّالب الذي لديه نهمةٌ شديدةٌ في العلم أن يحفظ متن «الواسطية» أو أن يدرس فيفهم، ثمّ تلك الرّسائل التي جُمِعَتْ تحت عنوان «مجموع فتاوىٰ شيخ الإسلام» في هذا المجموع رسائلٌ مهمّةٌ جدًّا، ينبغي أن يدرسها طالب العلم، وإذا أراد أن يتوسّعَ في كتابٍ مؤلّفٍ في باب الأسماء والصّفات -بتوسّع- عليه أن يدرس «شرح الطّحاوية» لأنّ صاحب شرح الطّحاوية نَقَلَ كتابه كلّه أو جلّه من كتب شيخ الإسلام ابن تيميّة وتلميذه ابن القيّم وكتب ابن كثير وهو كتابٌ جامعٌ ومفيدٌ.

وأمّا بالنّسبة للتّفسير فينبغي أن يبدأ طالب العلم الصّغير بتفسير الشّيخ عبد الرحمن السّعدي رَحِمَهُ اللهُ لأنّه مختصرٌ ومنهجه معروفٌ، منهجٌ سلفيٌّ، فإذا كان لديه اطّلاع علىٰ فروع اللّغة العربيّة وكان متمكّنًا من اللّغة وَوُفِّقَ إلىٰ مدرسٍّ ومفسّرٍ سلفيٍّ عليه أن يدرس «فتح القدير» للشّوكاني وإنّما تحفّظت هذا التحفّظ وشرطت هذه الشّروط لأنّ الإمام الشّوكاني علىٰ الرّغم من سعة علمه وحُسْن تأليفه خُصوصًا في «فتح القدير» و«نيل الأوطار» لم يسلمْ من تأويل بعض نصوص الصّفات؛ لئلّا ينطلي عليه هذا ينبغي أن يختار المفسّر السّلفيَّ فيدرس هذا الكتاب؛ لأنه يعينه علىٰ تذوّق كتاب الله تعالىٰ إذ ينبهّه علىٰ أوجه

الإعراب وأحيانًا علىٰ النّكت البلاغيّة، ثمّ التّفسير المشهور عندنا هو تفسير ابن كثير لا بأس أن يدرس المختصرات التي اخْتُصِرتْ من هذا التّفسير حتّىٰ يتوسّع فيما بعد، وكلّ ذلك كما قلت لا ينبغي أن يكتفي طالب العلم بالمطالعة، بل لابدّ من العرض علىٰ أهل العلم. ينبغي أن يدرس علوم التفسير أيضًا، من علوم التفسير فنّ التّجويد ومن علوم التّفسير فروع اللّغة العربيّة كلّها من علوم التفسير.

ثمّ في الحديث يحفظ المتون كما ذكرنا في الليلة الماضية بدءً من الأربعين النوويّة وعمدة الأحكام وبلوغ المرام ثم ينظر في الشّروط ويعرف هذه الكتب، يدرسها علىٰ أهل الاختصاص.

والفقه، إن أراد طالب العلم التوسّعَ ويطّلع علىٰ خلافات أهل العلم الفرعيّة فعليه أن يحفظ من كلّ مذهبٍ من المذاهب الأربعة مَتْنًا وألّا يُعوّد نفسه التّمسّك بمذهبٍ معيّنٍ لأنّ الفقه الصّحيح هو ما درسه في عمدة الأحكام وبلوغ المرام، فقه السنة، وبعض كتب الإمام الشّوكاني، شريطة كما قلتُ عدم التّعصّب لشخصٍ معيّنٍ أو لمذهبٍ معيّنٍ بل يكون هدفه طلب العلم.

س: السائل يقول: ما هي نصيحة الْمُجَرِّب في طلب العلم والتحمّل مما نستفيد منكم -إن شاء الله- مع العلم بأنّنا لم نستفد من كلّ هذه الحركات إلّا ضياع الوقت؟

الجواب: الحمد الله الذي أنقذك طالما أدركتَ بأنّ المرض إذا شُخّص عُولج وقد شخّصت المرض فعالِجْ والعلاج في طلب العلم والتّجرّد لطلب العلم علىٰ الطريقة التي أشرنا إليها وهناك من هو أوسع منّي علمًا وتجربةً، لك أن تتصل بمشايخنا وزملائنا أهل العلم والفضل والإطلاع لتستفيد منهم.

س: يقول السائل:بحكم تجربتكم وطلبكم للعلم، فهل طلب العلم وحفظ المتون والاشتغال بالفقه والبحث والقراءة يتنافىٰ مع الدّعوة إلىٰ الله؟

الجواب: أعتقد أنّ هذا السّؤال ليس بحاجةٍ إلىٰ الجواب فالجواب سلبي. الصّحيح: هذه من أساليب ومن مقدّمات الدّعوة إلىٰ الله، طلب العلم بهذه الطّريقة، لأنّك تهيّئ نفسك بطلب العلم للدّعوة، فالدّعوة واجبةٌ لكن علىٰ أهل البصيرة، وهذه الطّريقة هي التي تُكسبك البصيرة والعلم حتّىٰ تدعو إلىٰ الله، الدّعوة إلىٰ الله ليست بالأمر الهيّن، حتىٰ يخرج الإنسان من بيته يريد أن يدعو النّاس إلىٰ الله ويأمر

بالمعروف وينهىٰ عن المنكر وهو جاهلٌ لم يتعلم لا، كَوِّنْ نفسك بهذه الطّريقة فاطلب العلم ثمّ أدعو إلىٰ الله.

س: يقول السّائل: ما رأيكم فيمن يقول: إنّ هؤلاء الدّعاة -لستُ أدري مَنْ هم المشار إليهم- إنّ هؤلاء الدّعاة سوف يرجعون بالأمّة إلىٰ القرون القديمة مثل قرون الإمام المجدّد محمّد بن عبد الوهّاب، قرن الفتن - هكذا العبارة -؟

الجواب: أسأل الله لي ولك العافية، الزمن الذي ظهر فيه وقام بالتّجديد الإمام محمّد بن عبد الوهّاب دعوته هي الّتي قضت علىٰ الفتن، قضت علىٰ القتال الذي كان يدور بيْن القبائل، قضت علىٰ الوثنية والشّرك وعلىٰ الحكم بغير ما أنزل الله، هذه من الفتن، وقضت علىٰ التّفرّق وحصل بسبب هذه الدّعوة المباركة في هذه الجزيرة: الوحدة الإسلاميّة بيْن الأمّة وارتفعت راية التّوحيد، وتَمَتّع مجتمع هذا البلد بسلامة العقيدة والأمن والأمان والاستقرار والتّمتّع بحكم شريعة الله، حيث لا يَحْكُم هذا المجتمع إلّا شرعُ الله، هذا ما يدعو إليه هؤلاء الدّعاة الذين أنت تشير إليهم، ما يريدون إلّا الإصلاح، إلّا النّصح لله ولكتابه ولرسوله ولأئمّة المسلمين وعامّتهم، فأسأل الله لي ولك العافية وأن يهديَ قلبك حتّىٰ تفهم الفهم الصّحيح.

س: يقول السّائل -السّؤال طويلٌ جدًّا- يقول: ذكرتَ دعوة الإخوان المسلمين ضمن الدّعوات الّتي فشلت منذ قيامها وأنّ دعوة الإخوان لها أكثر من نصف قرنٍ وهي فاشلةٌ؛ ولكنّي استمعتُ إلىٰ أشرطةٍ بعنوان لقاء مع مجلّة المجتمع، أُجري لقاءٌ مِن رئيس المجلّة مع طالب علمٍ، فجاء في التّحقيق أو في المقابلة السّؤال عن دعوة الإخوان المسلمين وقال طالب العلم الذي يناقَش مع هذا الذي سُئِلَ عن دعوة الإخوان، قال عن دعوة الإخوان ومؤسّسها: لو لم يكن للشّيخ حسن البنّا رَحِمَهُ اللَّهُ من الفضل علىٰ الشّباب المسلم سوىٰ أنّه أخرجهم من دور الملاهي والسّينما ونحو ذلك كالمقاهي وكتّلَهُم وجمَّعَهم علىٰ دعوةٍ واحدةٍ ألا وهي دعوة الإسلام، لو لم يكن من الفضل إلّا هذا لكفاه فضلاً وشرفًا، هذا ما صرّح به طالب علمٍ كبيرٍ لمجلّة المجتمع؟

وهذا الشّخص عشتُ معه فترةً من الزّمن متجاورين ومتزاملين في العمل، الذي أعرفه منه خلاف ما ذكر الآن، نتركه هو، كلّنا نعلم دعوة حسن البنّا، صحيحٌ أنّه أخرج الشّباب التّائهين من المقاهي ومن دور

السّينما هذا شيءٌ لا يُنْكَر، يذكره كلّ من يعرفه؛ لكن بعد أن أخرجهم من تلك الأماكن ماذا فعل معهم؟ هل دعاهم بأسلوبِ وبدعوةِ الأنبياء أم نقلهم فجمّعهم فتفرّقوا علىٰ الطّرق الصّوفية؟ كأنّه نقلهم من جاهليّةٍ إلىٰ جاهليّةٍ، لم ينقلهم إلىٰ المفهوم الصّحيح للإسلام، وكان الشّيخ نفسه له طريقةٌ صوفيّةٌ، هؤلاء الذين نقلهم من دور السّينما إمّا اعتنقوا طريقته أو طرقًا أخرىٰ،

وهل دعوة الشّيخ حسن البنّا قضت علىٰ عبادة غير الله عَلَنَـًا في بلده؟

وهل أخرج النّاس من الطّواف بالأضرحة؛ بضريح الحسين وزينب والبدوي؟

وهل أخرج النّاس من الحكم الدّيمقراطي إلىٰ حكم الله؟

هذا هو الشّرف، لو كانت الدّعوة جاءت هكذا، تكون الدّعوة الإسلاميّة الصّحيحة، أمّا التّجمّع السّياسيّ والحركات المنافسة للجماعات الأخرىٰ والأحزاب الأخرىٰ ويُكتب علىٰ الغلاف: الإسلام، وليس في داخل الكتاب هذا الإسلام، بل شيءٌ آخرٌ، حركةٌ سياسيّةٌ مزركشةٌ، ليست هذه دعوةً إلىٰ الإسلام، يَعْلَمُ كلّ طالب علمٍ درس مذكّراته وما تحدّث فيها عن نفسه من تجوّله من ضريحٍ إلىٰ ضريحٍ، هو نفسه يحدث عن نفسه تردّده إلىٰ بعض الأضرحة:

إِذَا كَانَ رَبُّ البَيْتِ بِالدُّفِّ فَشِيمَةُ أَهْلِ الْبَيْتِ كُلِهِمِ الرَّقْصُ

إذا كان هو نفسه لم يصل من العلم ومعرفة المفهوم الصّحيح للإسلام إلىٰ مقاطعةِ الأضرحة ومحاربةِ من يطوف بها ودعوتهم وإرشادهم، بل هو نفسه يفعل كما يفعل العوام، ماذا فعل بأصحاب الملاهي؟

هذا يُذكّرني بما تدّعي الصّوفية من أنّهم هم الذين أدخلوا الإسلام في القارّة الإفريقيّة ولي ردٌّ في بعض محاضراتي علىٰ هذا السّؤال.

الجواب: إنّهم نقلوا بعض الوثنيّين من الأفارقة من عبادة الأشجار والأحجار إلىٰ عبادة البشر، أخرجوهم من عبادة الجمادات إلىٰ عبادة مشايخ الطّرق، لا فرْقَ بيْن أن يكون المعبود حجرًا أو شجرًا أو إنسانـًا أو جنّيـًا أو مَلَكـًا لأنّ العبادة لا تكون إلّا لله، لذلك مِثْلُ هذه الدّعوة لا ينبغي أن تنطلي علىٰ

طلّاب العلم، وأقول دائمًا لشبابنا: كونوا علىٰ يقينٍ في عقيدتكم حتّىٰ لا يلبّس عليكم الأمر، كلّ إنسانٍ بسيطٍ في باب العقيدة يعلم أنّ ذلك التّصرّف ليس من الدّعوة الإسلاميّة في شيءٍ.

عفا الله عن مَنْ صرّح هذا التّصريح وهو مستغرَبٌ جدًّا من مثله وكان ينتقد هذه الجماعة انتقادًا لاذعًا عندما كنّا معًا في الجامعة الإسلاميّة ويتّهمهم بأنّهم يُحاربون السُّنَّةَ، فنسأل الله تعالىٰ أن يُثَبِّتَنا علىٰ الحقِّ.

س: الآن في السّاحة الإسلاميّة ثلاثُ جماعاتٍ: جماعة الإخوان، جماعة أنصار السُّنَّة وجماعة التّبليغ، أيّهم أفضل، جزاك الله خيرًا؟

الجواب: وجزاك الله خيرًا، يصدق عليك قول الشّاعر بالنّسبة لهذه المقارنة بيْن السَلَفيّة وبين هذه الجماعات:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ السَّيْفَ يَنْقُصُ قَدْرُهُ إِذَا قِيلَ إِنَّ السَّيْفَ أَمْضَىٰ مِنَ الْعَصَا

المقارنة بيْن السّيْف والعصا تحطُّ من قيمة السّيف، أنصار السُّنّة الذين تذكرهم هم السّلفيّون الذين تأثّرُوا بهذه الدّعوة المباركة يُقال لهم في بعض البلدان: أنصار السُّنّة وفي بعض الأقطار: السّلفيّون وفي بعض الأَقْطار: أهل الحديث [كما في] القارّة الهنديّة، لا يجوز المقارنة بينهم وبين هذه الحركات الحديثة الّتي تجدّدت لأنّ الدّعوة السلفيّة هي المفهوم الصّحيح للإسلام، المفهومُ الصّحيحُ للإسلام: المفهوم السّلفيّ، السّلفيّة نسبةً إلىٰ السّلف، السّلف سلفنا الصّالح هم الصّحابة والتّابعون وأئمّة تابعي التّابعين كالأئمّة الأربعة، وهم المعنيّون بقوله تعالىٰ: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ ﴾ [التوبة: ١٠٠] عقيدةٌ قديمةٌ مأخوذةٌ من كتاب الله تعالىٰ علىٰ فهم السّلف الصّالح، ليست بالمفهوم الجديد.

تُقارن بيْن من يسير علىٰ الجادّة، علىٰ الخطّ الأصيل بمن خرجوا إلىٰ بُنَيَّاتِ الطّريق؟ لا مقارنة أبداً، وهذه المقارنة ظلمٌ، يجب أن تفهم إنّ أولئك الذين ذكرتهم هم محلّ دعوتنا، نحن ندعوهم ليرجعوا إلىٰ الجادّة ويبتعدوا عن بنيّات الطّريق لئلّا يهلكوا، يجب أن نُشفق عليهم وندعوهم إلىٰ الجادّة، أمّا أيّهم أفضل فهذا غير واردٍ.

س: ذكرتَ في المحاضرة لفظ الوهّابيّة ولقد استمعتُ إلىٰ شريطٍ لبعض طلّاب العلم عنوانه «نقاش سلفيّ تبليغيّ» قال فيه السّلفيّ الذي يناقش التبليغيّ: أمّا الوهّابيّة فمالي ولها؟

الجواب: وقد عاش بينها معدودًا منها فترةً من الزّمن، هو الشّخص الأوّل نفسه الذي وصفته، لقد عاش مع من سمّاهم بالوهّابيّة. لفظةُ الوهّابيّة لقبٌ أطلقه أعداء الدّعوة وخصوم الدّعوة علىٰ أصحاب هذه الدّعوة، لقد سمعتم ما ذكرتُ لكم في الليلة الماضية عندما بدأ يشيع في العالم الوهّابيّة والوهّابيّون قال الملك عبد العزيز رَحِمَهُ اللهُ: «إِنَّ عَقِيدَتَنَا لَيْسَتْ عَقِيدَةً جَدِيدَةً، عَقِيدَةُ السّلَفِ الصَّالِحِ وَنَحْنُ نَحْتَرِمُ الْأَئِمَّةَ: الْإِمَامُ مَالِكٌ وَالشَّافِعِيُّ وَأَحْمِد وَأَبِي حَنِيفَةَ» قال كلامًا هذا معناه فراجع في مقدّمة «شرح الطّحاوية» طبعة الدّكتور عبد الله التُّركي، كلامٌ عظيمٌ، الشّاهد لفظة الوهّابيّة أطلقها خصوم الدّعوة علىٰ هذه الدّعوة والرّجل يقول: مالي ولها - لا بأس- أنا أنقدها ربّما أكثر من غيري - عجبًا هل انتقدها ونصحتَ أهلها عندما عِشْتَ بيْنهم سنتين أو ثلاث سنوات ولم يظهر منك شيءٌ من هذا الاستنكار؟ لستُ أدري ما الذي حدث في الأمس؟ ثم يقول: ما لنا وللوهّابيّة هذه الدّعوة ذهبت مع التّاريخ وهؤلاء السّعوديين -حسب الكتابة- جرفتهم الدّنيا وجرفتهم السّياسة، نحن الآن أمام دعوةٍ انتشرت في العالم الإسلاميّ رضي من رضي. اهـ هذا كلامٌ ينقد آخره أوّله، إذا كانت الوهّابيّة كما زَعَمْتَ ذَهَبَتْ مع التّاريخ وجرفتها السّياسة والدّنيا، مَنِ الذي نشر ما اعترفتَ بِهِ بأنّ الدّعوة والإسلام أخذ ينتشر؟ علىٰ يدِ مَنْ؟ علىٰ يدك أنت وأيدي أتباعك؟ الذين ينشرون الدّعوةَ الإسلاميّةَ الآن في العالم مَنْ هم؟ تلاميذنا مِن أصحاب هذه الدّعوة، من خرّيجي جامعاتنا، الذين تخرّجوا في الجامعة الإسلاميّة وجامعة الإمام وبعضهم من جامعة أمّ القرىٰ، والشاهد هم الذين دَرَسُوا المنهج السّلفيّ الذي وصفته بأنّه وهّابي والذي زعمتَ بأنّه ذهب، لم يذهب ولن يذهب لأنّ الحقّ باقٍ، السّلفيّة أو السّلفيّون هم الفرقة النّاجية والطّائفة المنصورة التي تدافع عن الحقّ وتقاتل دون الحقّ وتستميت في الدّفاع عن الحقّ وبحمد الله تعالىٰ في هذا الوقت علىٰ الرّغم من أنّنا نعيش في وقتِ الفتن لكنّ سَير الدّعوة السّلفية اليوم ملموسٌ لمس اليد لكلِّ مَن له اتّصالٌ بالعالم الخارجيّ، هذه الكتب التي ذكرتُ لكم قبل قليلٍ وطلبت أن تُحْفَظَ استمعتُ إلىٰ أطفالٍ في مالي في غرب إفريقيا -أنا وزملائي- يحفظون هذه الكتب حفظ الفاتحة -بحمد الله تعالىٰ- المدارس الأهليّة السّلفيّة انتشرت وغير المسلمين من النّصارىٰ بتلك الأقطار اعترفوا بأنّ الإسلام الصّحيح هو ذلك الذي يأتي من السعودية.

لأنّي ذكرتُ لكم قصّةً غريبةً لداعيةٍ تخرّج من الجامعة الإسلاميّة يعمل في بعض دول أفريقيا اصطدم مع مشايخ الطّرق إلىٰ أن وصل الأمر إلىٰ الحاكم العسكريّ المسيحيّ -مسيحي متعلّم، تعلّمَ في أوروبا- وعند الاستجواب سأل الداعيّة:

- أين دَرَسَ؟
- فقال له: درس في السّعودية في المدينة النبويّة.
- ويحمل شهادةً؟
- نعم من الجامعة الإسلاميّة بالمدينة النّبويّة.
- والمشايخ: أين درستم؟
- قالوا: في بلدنا هذا.
- قال لهم اسمعوا -يقول هو وزملاؤه ذهبوا إلىٰ أوروبا فدرسوا المسيحية هناك فوجدوا أنّ بعض الطّقوس التي يزاولها القساوسة في أفريقيا باطلةٌ لا أصل لها- قال لهم: أخشىٰ أن يكون مفهومكم غير صحيحٍ، ما دام جاء هذا من السّعودية أنتم رسولكم من السّعودية -لأنّ السّعودية في مفهومها حتّىٰ في عهد النبي هذا البلد سعوديّة عندهم- رسولكم من السّعودية وُلد بمكّة ودُفن بالمدينة وهذا أخذ شهادةً من المدينة التي دُفن فيها نبيّكم، الإسلام الصّحيح هو الذي يأتي من السّعودية، إمّا أن تدرسوا عليه وإلّا لا يأتيني منكم أحد بعد اليوم.

انهزمت الصّوفية علىٰ يد مسيحيٍّ، صدق قوله ﷺ:«إِنَّ اللهَ لَيُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ»[21].

هكذا الوهّابيّة أو بالمفهوم الصّحيح: السّلفيّة التي وصفها الرَّجل بالوهّابيّة أنّها ذهبت، لم تذهب ولكنها تسير سيْرًا هادئًا في العالم بدون جعجعةٍ، وبدون الطّبول والدّفوف، تسير هكذا تدخل البلاد وتفتح القلوب، بالمستوىٰ الشعبي: الدّعوة السّلفيّة عمّت العالم إلّا ما شاء الله، لا بالمستوىٰ الرّسمي، وكونها ذهبت عفا الله عن هذا القائل ويتوب عليه ويشرح صدره للحقّ، هذا كلامٌ خطيرٌ جدًا عليه هو،

---

(21) أخرجه البخاري (2897) ومسلم (111)

لستُ أدري هل الأرجح وهل من المصلحة ذِكْرُ هذا الشّخص أو عدم ذِكْرِهِ؟ عندي تردّدٌ لذلك أؤخّر إلىٰ وقتٍ آخر.

س: أرجو أن توجّهوا كلمةً مختصرةً إلىٰ كلّ شابٍّ يُريد أن يكون داعيةً إلىٰ الله تعالىٰ علىٰ بصيرةٍ، لأنّنا نلمس أنّ بعض الشّباب لديه حبُّ الدّعوة ولكنّه وبكلّ أسفٍ يدعو بطرقٍ خاطئةٍ.

الجواب: طالما توجَّهَ الشّباب إلىٰ الدّعوة وتركوا ذلك الضّياع -كما قال صاحب السّؤال- هذا الاتّجاه نفسه نشكر اللهَ عليه ونشجّعهم ولكن ندلُّهم علىٰ الطّريقة المثلىٰ: العلم أوّلاً -التّعلّم- لتكون علىٰ بصيرةٍ، الشّاب الصّغير لا ينبغي أن يحمله تحمّسه وغيرته علىٰ الخوض في مجال الدّعوة إلىٰ الله وهو غير مسلّحٍ بسلاح العلم، نصيحتي لهؤلاء الشّباب أن يجتهدوا في التّحصيل بالطّريقة التي شرحناها.

س: يشكو السّائل أنّ بعض الشّباب ربَّما تأثّرُوا ببعض الجماعات -أثّرت فيهم بعض الجماعات- فينالون من الدّعوة السّلفيّة والسّلفيّين فما الحيلة؟

الجواب: الحيلة أوّلاً الدّعوة الصّالحة لهم، وثانياً العمل بالأسباب، من العمل بالأسباب أن تسعوا إلىٰ إيجاد عددٍ كافٍ من المدرّسين في مدينتكم لأنّها مدينةٌ عظيمةٌ لا يكفي وُجود مدرّسٍ أو مدرّسيْنِ، ينبغي أن يتعاون الدّعاة والمشايخ علىٰ نشر العقيدة وتصحيح المفاهيم لشبابنا في هذه المدينة ولو أنّ كلَّ واحدٍ منّا يقضي إجازته الأسبوعيّة في جدّة موزّعين علىٰ المساجد لعالجوا الكثير من مشاكل الشّباب فنسأل الله لنا ولهم التّوفيقَ.

س: هل الحكّام الذين لا يحكمون بشرع الله تجب طاعتهم ومبايعتهم أم ماذا؟ وما هي نصيحتكم للشّباب المسلم في غير هذه البلاد -وذَكَرَ عدّة بلدانٍ من البلدان العربيّة والإسلاميّة التي تحكم بالقوانين ولم تقتنع بالشّريعة الإسلاميّة-؟

الجواب : هذا السّؤال واردٌ، يوجد عددٌ كبيرٌ من أبناء الدّول العربيّة والإسلاميّة في الجامعة الإسلاميّة وغيرها وفي الحرمين الشّريفين يتفقّهون فَنِيَّتَهُم الإصلاح بعد العودة وبعد الرّجوع إلىٰ أوطانهم ماذا يعملون؟ جاءني بعض الشّباب من الأفغانيين تخرّجوا من الجّامعة الإسلاميّة طلبوا منّي أن

أتعاون معهم لأنّهم يُريدون إيجاد جبهةٍ إسلاميّة في أفغانستان، جبهةٌ جديدةٌ، قلت لهم: لا، إنشاءكم للجبهة الإسلاميّة إثارةٌ في نفوس الخصوم ويستعدون لكم للقضاء عليكم إذن الطّريقة ما هي؟

طريقة التّعليم، يرجعون إلىٰ بلادهم فيفتحون مدارسَ تحفيظِ القرآن والمدارس الابتدائيّة والمتوسّطة إلىٰ الثانوي علىٰ المنهج الذي يُدرس في هذا البلد[22] -في مدارسنا- كما فعل الأفارقة والإخوان الذين في القارة الهنديّة، يبنون الرّجال ويُربّون الشّباب علىٰ هذا المنهج ولا يتّصلون بالحكّام إلّا بعد فترةٍ واتّصالهم بأولئك الحكّام يكون اتّصالًا سليماً بعيدًا عن الحزازات السّياسيّة والمنافسة السّياسيّة بحيث لا يشعر أولئك الحكّام أنّ هؤلاء الدّعاة يُنافسوهم لِيُنْزِلُوهم من كراسيهم، أي ليس من العدل أن تُوجِدَ لك أعداءً وخصوماً في أوّل بدءك في الدّعوة، اِبْنِ نفسك وابنِ الرّجال ورَبِّ الشّباب وتدرّج، ثمّ اتّصل بالعقلاء وبالأعيان إلىٰ أن تصل شيئًا فشيئًا إلىٰ أولئك الحكّام وتعرض عليهم الدّعوة عرضًا، إيّاك أن تسلك مسلك الإثارة والتّهييج والطّعن والسب لا، ليس هذا أسلوبًا أبدًا ولو كان الحاكم طاغوتًا يحكم بغير ما أنزل الله راضيًّا به ليس من الحكمة أن تبدأ بالهجوم والعنف وأنت عاجزٌ لا تقدر [أن] تعمل شيئًا.

يبدأ بالطّريقة السلميّة والتّعليم وبناء الرّجال حتّىٰ يصل إلىٰ ما يريد، إن جاءه أَجَلُهُ قبل أن يصل إلىٰ ما يريد يُثاب علىٰ نيّته الصّالحة وعلىٰ هذه العزيمة العظيمة لأنّه كان عازمًا علىٰ الإصلاح، ويتولّىٰ مَن بعده المنهج وهكذا، لا ينبغي أن يتعجّل. أمّا كَوْن الشّاب فور تخرّجه يعود إلىٰ بلده يُحاول أن يقيم دولةً إسلاميّة بين عشيّةٍ وضُحاها هذا طيشٌ، جهلٌ لا ينبغي.

س: بعض الشّباب يُكفِّرون كلّ من [لا] ينتمي إلىٰ طريقتهم؟

الجواب: هذه كما سمّاها فضيلة الشّيخ ابن عثيمين: فتنةُ الشّباب. من الفتن التّي ابتُلِيَ بها بعض الشّباب التّسرّع في التّكفير والتّبديع والتّضليل والخوض في أعراض النّاس، كأنّهم يرون إنّما تُحرم الغيبة والنّميمة والطّعن والسُّخريّة في من يَنْتَمِي إلىٰ الاتّجاه الذي هم فيه ومن خالف ذلك الاتّجاه استباحوا تكفيره وما دون التّكفير من بابٍ أولىٰ.

---

(22) المملكة العربية السعودية إذ الشيخ يُدرِّس في المسجد النّبويّ والمحاضرة كانت في مدينة جدّة.

هذه فتنةٌ يجب أن يعالجها العُلماءُ والعلاج: التّعليم، كلُّ هذا من الجهل ومن التّأثّر ببعض الأفكار الواردة من خارج هذا البلد، فليعلم شبابنا بأنّهم يُحسَدون، هم محلُّ الحسد «كُلُّ ذِي نِعْمَةٍ مَحْسُودٌ»[23] أنتم تتمتّعون بِنِعَمٍ لا يتمتّع بها غيركم: سلامة العقيدة، الأمن والأمان والاستقرار، والصّلة الطّيبة بينكم وبين ولاة الأمر، التّعليم المجّاني والأمور ميسّرة في التّعليم والعلاج وفي كلّ ما تحتاجون، هذه أمورٌ تمتازون بها وقد حسدكم غيركم علىٰ هذه النّعمة فضرب بعضكم ببعضٍ، انتبهوا لهذه الفتنة «التّكفير» ليس بالأمر الْهَيِّنْ، المعتزلة الذين نفوا جميع صفات الله تعالىٰ لم يكفّرهم أهل العلم كما كفّروا الجهميّة لإثباتهم الأسماء، قالوا لأنّه يلزم من إثبات الأسماء إثبات الصّفات لذلك تورّعوا في تكفيرهم، أمّا كونك تجرؤ علىٰ تكفير كلّ من لم يَنْتَمِ إلىٰ طريقتك، إلىٰ اتجاهك وإلىٰ جماعتك ما هذا؟ هذا ليس من العقل في شيءٍ، قبل أن نقول شرعًا حتّىٰ عقلاً هذا مذمومٌ، فنسأل الله لنا ولهم الهداية.

س: -هنا سؤالٌ فيه نوع من الغموض- يقول: يا شيخ إنّ تعارض العلماء قد أحدث إرباكًا بَيْنَ الشّباب الملتزم، لابدّ من إنكار المنكرات الموجودة في هذا البلد التي لا تخفىٰ عليك فكيف ننكرها؟

الجواب: إنكار المنكر واجبٌ إلّا إذا كُنتَ تعني بإنكار المنكر عدم وقوع المنكر. المنكرات الواقعة تُنْكَرْ ومَنْ يَراها يُنكرها وتسمع من يُنكرها في الإذاعة والتّلفاز وفي المحاضرات، العلماء يُبيّنون خُطورة انتشار المنكرات ويُنكرون، نحن علينا أن ننكر المنكر بألسنتنا ونبيّن خطورة انتشار المنكر، هذا كلّ ما يجب علينا وليس علينا إزالة ذلك باليد هذه وظيفة غيرنا فنسأل الله أن يوفق ولاة الأمور للتّغلب علىٰ بعض ما انتشر من المنكرات بين المجتمع كانتشار الرّبا. ثمّ إنكار المنكر شيءٌ وتكفير النّاس لأجل انتشار المنكر شيءٌ آخرٌ، وقوع المعاصي والمنكرات في البشر أمرٌ لابدّ منه فلماذا نزلت الحدود والتّعزيرات والعقوبات؟ لأنّ الله يعلم أنّه خلق البشر فيهم نزعاتٍ مما يوقعهم في المعاصي وهو ﷻ أرحم الرّاحمين وَعَدَهُمْ بالتّوبة لمن تاب إليه.

---

(23) أخرجه العقيلي (2/ 108، ترجمة 580)، والطبراني (20/ 94، 183)، وأبو نعيم في الحلية (5/ 215)، والبيهقي في شعب الإيمان (5/ 277، 6655). وأخرجه أيضًا: الطبراني في الأوسط (3/ 55، 2455)، وفي الصغير (2/ 292،1186)، والديلمي (1/ 85، 269) انظر صَحِيح الْجَامِع (943)، الصَّحِيحَة (1453)

إذا كان يتصور بعض النّاس أنّ المجتمع الإسلاميّ هو ذلك المجتمع الذي لا تقع فيه المنكرات والمعاصي هذا تصوّرٌ خاطئٌ لم يحصل ولن يحصل، خير مجتمعٍ عاش علىٰ وجه الأرض: المجتمع الذي كان يقوده رسول الله ﷺ وهل ذلك المجتمع سَلِمَ مِنَ المعاصي؟ لا، شُرِبتْ الخمور وحَصَلتْ السّرقة وفاحشة الزّنا كلّ ذلك وقع، وهل أخرج ذلك الدّولة الإسلاميّة المحمديّة من كونها دولةً إسلاميّةً؟ لا، إذن الدّولة الإسلاميّة هي التي تُقيم الحدود إذا وقعت المعاصي وتُعَاقِبُ الجاني بذوات الحدود -بالحدّ- وفيما دون ذلك بالتّعزير، هذا هو الحاصل الآن عندنا بحمد الله، ماذا تريد أكثر من هذا؟ صحيحٌ نحن مُعترفون بالتّقصير، لسنا كسلفنا الصّالح، لا نحن طلّابَ العلمِ ولا حكّامُنا ولا مجتمعُنا، النّقص حاصلٌ والتّقصير حاصلٌ ولكن كما قلت غير مرّةٍ لن نَنْزِلَ عن درجة المؤمن الضعيف « الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَىٰ اللهِ مِنْ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ»[24] لا ننزل عن هذه الدّرجة أي لسنا بكفّارٍ.

ومن يريد مرّة أخرىٰ مجتمعًا لا تقع فيه المعاصي والمنكرات كأنّه يُريد أن يتصوّر مجتمعًا من الملائكة يرأسهم جبرائيل هذا غير واقعٍ، تتحدّث عن المستحيل، نحن بشرٌ ولكن إن كنتَ ذا إنصافٍ قارن بيْن هذا البلد وبين المجتمع الذي أنت تعيش فيه وبين المجتمعات الأخرىٰ التي أعرضت عن الإسلام إعراضًا كليًّا مع الانتساب إلىٰ الإسلام إنّما تعرف الأشياء بأضدادها.

س: يقول السّائل: لقد تكلّمتَ عن السّياسة أكثر من مرّةٍ فأي سياسةٍ تريد؟ السّياسة الربّانيّة أم ماذا؟

الجواب: مَنْ منكم يعرف السّياسة الربّانيّة؟ [هل توجد] سياسة اسمها السّياسة الربّانيّة؟ السّياسة الشّرعيّة يقصد، نعم، السّياسة التي ندعو إلىٰ دراستها ثمّ العمل بها بعد الدّراسة هي السّياسة الشرعيّة والسّياسة التي ننكرها هي السّياسة العصريّة المخالفة لتعاليم الإسلام ونحن بحمد الله يسوسنا حكّامنا بالسّياسة الشرعيّة، لا تستغرب ربّما ضَحِك عليك بعض النّاس قالوا: أنتم تعيشون تحت الحكم الفردي، يحكمكم فردٌ واحدٌ، وربّما سمّوا: الدّكتاتوريّة، خُذوا جوابًا شافيًّا هنا، نحن في هذا البلد لا

---

(24) أخرجه مسلم (2664)

نعيش تحت حكمٍ جمهوريٍّ برلمانيٍّ تتعدّد فيه الأحزاب، ولا نعيش تحت حكمٍ دكتاتوريٍّ يحكم بالسّلاح ولا يحكمنا فردٌ ولا جماعةٌ، فما الذي يحكم مجتمع هذا البلد؟ شريعة الله. حكّام هذا البلد يُعْتَبَرُون السّلطة التّنفيذية فقط، ليسوا سلطةً تشريعيّةً، لا توجد عندنا السّلطة التّشريعيّة ولا ينبغي أن توجد بل لا يجوز لدىٰ كلّ المسلمين أن توجد السّلطة التّشريعية التي تشرّع مع الله. يحكمنا في هذا البلد شرعُ الله وهذا شيءٌ يعرفه حتّىٰ رجل السّوق يعلم ذلك، إذا ضُبِطَتْ الجناية كيف يتم تنفيذ الحكم؟ تبدأ الإجراءات من عند الشرطة إلىٰ المحكمة وتمرّ مراحلٌ كثيرةٌ في المحاكم فيدرس الحكّام القضاة فيفحصون فحصًا علىٰ ضوء الكتاب والسُّنّة، هذه الجناية وهذه الجريمة ويتّخذون فيها صكًّا بأنّ الشّرع يحكم علىٰ زيدٍ بن عمرو بالقصاص أو بقطع اليد أو.. أو.. أو..الخ الأحكام، تُرفع هذه الأحكام إلىٰ وليّ الأمر فيدرس فيأمر بتنفيذ حكم الله -انتبه لهذه العبارة- يأمر بتنفيذ حكم الله في زيدٍ بن عمرو الذي قتل النّفس بغير حقٍّ، مَنْ الذي حكم إذن وأمر بالتّنفيذ؟ فترجع المعاملة إلىٰ الدّاخليّة فمندوب الدّاخليّة يتلو آيةً من القرآن المناسبة إمّا للقصاص أو لقطع اليد فينفذ حكم الله، إذن من الذي حكم؟ الله في كتابه. ماذا فعل الحكّام؟ نفّذوا: سلطةٌ تنفيذيّةٌ -افهموا جيّدًا- الذي كان يناقشني قبل قليلٍ في السّياسة هي هذه السّياسة الشرعيّة وهل مجتمعٌ كهذا وشعبٌ كهذا يُقال له يحكمكم فردٌ وحكمٌ دكتاتوريٌّ؟ لا، تحكمنا شريعةُ الله وهؤلاء لهم الفضل ولهم الشّرف في أن ينفّذوا حكم الله، هذه هي الحقيقة التي ينبغي أن يفهمها طلّاب العلم ويشرحوا لمن انطلت عليه الأمور بواسطة بعض التّلبيسات.

س: سائلٌ يسأل يقول: هناك أناسٌ إذا صعدوا المنابرَ أو في جلسةٍ عامّةٍ يقولون خلاف أقوالهم في الجلسات الخاصّة ما هو توجيهكم جزاكم الله خيرًا؟

الجواب: الله المستعان، إن كان ما تقوله واقعٌ من بعض النّاس نسأل الله أن يتوب علينا وعليهم، المؤمن يجب أن يكون دائمًا صريحًا وصاحب كلمةٍ واحدةٍ ولا ينبغي أن يتناقض، اتّخاذ مجالس خاصّةٍ للحديث الخاص وبين النّاس يصرّح خلاف ذلك نرجو ألّا يوجد ذلك وإن وُجِد بقلّةٍ فنسأل الله أن يتوب علينا وعليهم.

س: سائلٌ يسأل عن حكم الأناشيد الإسلاميّة؟

الجواب: لا أعلم أنّ الأناشيد إسلاميّةٌ، حسب علمي القصائد والأناشيد إن قُرئت في الله تعالىٰ أي عبادةً كما صرّح [...][25] هذه بدعةٌ منكرةٌ ربّما تُؤدّي إلىٰ التّشريع، إنْ قُرِئَتْ القصائد لا يُقال لها إسلاميّة وأناشيد في مناسبات، لا بأس، هي أناشيدٌ عربيّةٌ وقصائدٌ عربيّةٌ لأنّها باللغة العربيّة أمّا تسميتها إسلاميّة خطأٌ، لا يوجد في الإسلام أناشيدٌ أو قصائدٌ إسلاميّةٌ أمرَ بها الإسلام، جاء بها الإسلام أو شرعها الإسلام لا، هذا خطأٌ.

س: يقول كيف يطوّر طالب العلم نفسه -حسب تعبيره- في ظلّ عدم وجود دروسٍ منهجيّةٍ؟ وهل المحاضرات المتفرّقة ترفعُ من مستوىٰ طالب العلم والدّاعية؟

الجواب: المحاضرات المتفرقة تُعين؛ لكن لابدّ من الدّراسة وهذا ما ندعو إليه دائمًا منذ حرب الخليج، أنا أصيح في الشّباب «التّحصيلَ.. التّحصيلَ» لو كان يُطاع لقصيرٍ أمرٌ[26]، دعوتُ كثيرًا شبابنا أن يبتعدوا عن تلك الطّلعات والشّغب السّياسيّ ويشتغلوا بتحصيل العلم، دراسة العلم دراسةً منهجيّةً كما وصفنا هي التي تبني الرّجال، أمّا المحاضرات فمعينةٌ، تُعين، ومثل هذه الجلسة تُعْتَبر درسًا لو تتابع، يذهب هذا ويأتي آخر، يذهب ذاك ويأتي الثّالث، تُعتبر دراسة دروس، لكن الدّروس المنهجيّة المنظّمة المرتّبة علىٰ أبواب الفقه هي التي تبني الرّجال وهي التي نَفْقِدُها فنسأل تعالىٰ لنا ولكم العون ليحصل ذلك.

س: إذا تحدّث شخصٌ وقال: إنّ قلوب العباد بين أصْبعين من أصابع الرّحمن وأشار بأصبعيه، فما حكم هذا التّشبيه؟

---

(25) كلمة غير واضحة

(26) قصير: هو مولىٰ جذيمة الأبرش، وكان قد أشار علىٰ سيده أن لا يأمن الزباء ملكة الجزيرة، وقد دعته إليها ليتزوجها، وذلك أنّه كان قتل أباها، فخالفه وقصد إليها، فقال قصير: "لا يطاع لقصير أمر" فذهبت مثلًا. انظر الأمثال للميداني

الجواب: عجبـًا! لو قلتَ فما حكم هذه الإشارة؟ لأنصفتَ، لماذا سميّت تشبيهًا؟ هل النبيّ ﷺ عندما أشار هكذا وكان الله سميعًا وبصيرًا، كان مشبّها؟ حاشا، وعندما أشار هذه الإشارة: «اللهم أشهد» في خطبة يوم عرفة بعد أن قال للصّحابة: «أنتم مسؤولون عنّي ماذا أنتم قائلون؟» قالوا: «نشهد بأنّك بلّغت ونصحت» قال: «اللهمّ اشهد اللهمّ اشهد» يرفع إصبعه[27]، إلىٰ من؟ تخافون؟ إلىٰ الله، يا سبحان الله! يقول: «اللهم اشهد» إلىٰ الله؛ لأنّ الله فوق جميع المخلوقات ويُشهده عليهم لأنّهم شهدوا له، والإشارة للتّأكيد ليست للتّشبيه، لتأكيد المعنىٰ الحقيقيّ، أنّ ذلك المعنىٰ الحقيقي، إذا أشار الإنسان بأصبعه إشارةً إلىٰ الحقيقة وليس في ذلك تشبيهٌ ولا ينبغي التسرّع في الحكم في أنّ ذلك تشبيهٌ.

س: سائلٌ يسأل عن المُغيث هل هو من أسماء الله تعالىٰ؟

الجواب: حسب علمي ليس من الأسماء الحسنىٰ ولكن يُستعمل من باب الإخبار كالصّانع والمتكلم والمُريد، يُقال الله صانعُ هذا الكون، الصّانع ليس من أسماء الله ولكن يقولون: ويُتَسَامَح في باب الإخبار ما لا يُتسامح في باب الصّفات.

س: سائلٌ آخر يسأل عن حكم الإسلام فيمن يستعمل ويقوم بفعل العادة السّريّة خشية أن يقع في الفتنة، في فاحشة الزّنا؟

الجواب: خطأٌ، لا يجوز، ومن خاف علىٰ نفسه من الفتنة دلّه النبيّ ﷺ علىٰ الطّريقة الصّحيحة: يُكثر من الصّيام[28]، الشّاب الذي يخاف علىٰ نفسه الوقوعَ في الفاحشة يُكثر من الصّيام ولا ينبغي أن يقع في هذه، فيما سمّاه بالعادة السِّريّة.

---

(27) جزء من حديث طويل أخرجه مسلم (3028)

(28) يُشير رَحِمَهُ اللَّهُ إلىٰ قوله ﷺ: « مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَلْيَصُمْ، فَإِنَّ الصَّوْمَ لَهُ وِجَاء » أخرجه البخاري (1905) ومسلم (3379)

س: هل عبارة سلفي صوفي معًا صحيحةٌ ... إلىٰ آخر السّؤال؟

الجواب: القول بأنّ فلانًا سلفيٌّ صوفيٌّ وأنّ طريقةَ فلانٍ سلفيّةٌ وصوفيّةٌ، هذه تناقضات، الذي يقع أنْ يكون المرء في أوّل حياته صوفيًّا ثمَّ يتّضح له الحقُّ ويتوب من شطحات الصّوفية وينهج منهج السّلف وهذا ما وقع للإمام ابن القيّم كما يحكي عن نفسه، أنقذه الله من الصّوفية بشيخه -شيخ الإسلام- وبعد رجوعه وعمله في مجال الدّعوة السّلفيّة بالأسلوب الذي يعرفه طلّاب العلم، ليس أسلوبًا دفاعيًّا فقط بل بأسلوب هجاءٍ، بأسلوب ميدانيٍّ وهجوميٍّ كما في كتابيه «اجتماع الجيوش الإسلاميّة علىٰ غزو المعطّلة والجهميّة» و«الصّواعق المرسلة» هذه كتبٌ هجوميّةٌ، يُهاجم الجاهليّة بقوّةٍ وشجاعةٍ، لا يُقال لمثله -مثلًا بعد هذا- أنّه صوفيٌّ، لكن من باب الإخبار يمكن أن يُقال كان صوفيًّا ثمّ هداه الله.

س: هل الدّعوة الإسلاميّة -الدعوة- تكون واجبةً علىٰ الجّميع أرجو مزيد بيان؟

الجواب: الدّعوة الإسلاميّة، الدّعوة إلىٰ الله والدّعوة إلىٰ سبيل الله تجب علىٰ طائفةٍ معيّنةٍ مِنَ النّاس: أهل العلم والبصيرة، الذي لا يملك العلم والبصيرة ليس مؤهّلًا لِأَنْ يُسمّي نفسه داعيةً ويتخبط، ما يفسده أكثر ممّا يصلحه، إذن الدّعوة إلىٰ الله، إلىٰ دين الله، إلىٰ الإسلام إنّما هي واجب العلماء أهل العلم والبصيرة.

س: الصّوفية، البعض يقول إنّما بينهما الزهد والتّعبّد وأنتم لا تُفَصِّلونَ عند الكلام علىٰ الصّوفية، هل الصّوفية سواءٌ؟

الجواب: قبل قليلٍ كنّا نتكلّم في هذا، الصّوفية العادية والصّوفية الملاحدة، الصّوفية الملاحدة هم وحدة الوجود، والحلوليّة الذين لم يصلوا إلىٰ الوحدة لكن يزعمون أنّ الله يحلّ في بعض الشّخصيّات وفي بعض الأجسام، هؤلاء ضُلّال يصل ضلالهم إلىٰ الكفر.

أمّا الصّوفية العاديّة مبتدعةٌ لا تصل بدعتهم إلىٰ الكفر لكن إيمانهم بفكرة ابن عربي -فكرة وحدة الوجود والحلوليّة- والسّعي للوصول إلىٰ هذه الدّرجة هذا هو الخطأ، وهذا يدلّ علىٰ جهلهم وحسن الظنّ بِهذا الملحد الكبير ابن عربي الطّائي الذي قال فيه الإمام ابن تيميّة: «أتىٰ بكفرٍ لم يأت به كفّارُ قريش»، وهذا شيءٌ معقولٌ، أبو جهلٍ ما ادّعىٰ بأنّ الله اتّحد معه -صار أبو جهلٍ واللهُ شيءٌ واحدٌ، ما قال

هذا-، أبو جهلٍ يعلمُ وجودَ الله ويؤمن بتوحيد الرُّبوبية وإنّما كفر بتوحيد العبادة، إذن هو أحسن حالًا من ابن عربي الذي يقول ليس في الجُبّة إلّا الله، لأنّ الله اتّحد معه. الإيمان بهذه الفكرة وتصديقها والسّعي إليها هذا من أخطاء الصّوفيّة العاديّة.

س: بِم تنصح شبابنا الذين حفظوا القرآن ثمّ تهاونوا فيه؟

الجواب: لعلّ سرّ التّهاون ما سأله بعض شباب جدّة وأنا في المدينة؛ لأنّ بعضهم يقولون لهم: لا فائدة في حفظ القرآن إذا كنتم لا تفهمون المعاني، هذا خطأٌ، عليك أن تحفظ كتاب الله فهمتَ أو لم تفهم، قراءة القرآن عبادةٌ، من أفضل العبادات؛ بل أفضل العبادات علىٰ الإطلاق، ولو كنتَ لا تفهم المعاني، بالحرف الواحد عشرُ حسناتٍ، يقول النبيُّ ﷺ: « لاَ أَقُولُ الم حَرْفٌ، وَلكَنْ أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلاَمٌ حَرْفٌ، وَمِيمٌ حَرفٌ»[29] هذه الحروف المقطّعة التي في أوائل بعض السّور والله أعلم بمراده بها، لا نعلم [معناها] مع ذلك نُثاب علىٰ تلاوتها.

تَثْبِيطُ الشّباب عَنْ حِفظِ القرآن والحيلولة دونهم بدعوىٰ أنهم لا يفهمون المعاني هذه دعاية سيئة لا ينبغي أن تُقْبَلَ، احفظ القرآن وما نسيت راجع واضبط وخُذ بعض المصاحف التي في الهامش تفسير بعض الكلمات والمفردات أو كتيّبٌ صغيرٌ كلمات القرآن واسأل أهل العلم واستعن بالله.

س: سائلٌ آخرٌ يسأل: هل يجوز لعن المعيّن؟

الجواب: لا يجوز لعن المعيّن ولو كان كافرًا، لأنّ هذا المعيّن زيدٌ من النّاس إذا قلتَ: لعنه الله وسمّيته، اللّعن معناه الإبعاد من رحمة الله، ولا تدري بما يختم لهذا المعيّن، بالإيمان، بالحسنىٰ لا تدري، لذلك المَشْرُوع أنْ تلعنَ الكافرين والظّالمين والفاسقين بالجملة، لعنة الله علىٰ الظّالمين وعلىٰ الكافرين، أمّا لعن الْمُعَيَّن فلا، ثمّ إنّ الإكثار من اللّعن ليس من صفات المؤمنين[30].

---

(29) أخرجه الترمذي (2910) وانظر الصحيحة (3327)

(30) يُشير رَحِمَهُ اللهُ إلىٰ قول النبي ﷺ: «لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ، وَلاَ اللَّعَّانِ، وَلاَ الْفَاحِشِ، وَلاَ الْبَذِيءِ» أخرجه أحمد (3839) والبخاري في الأدب المفرد (332) والتِّرمِذي (1977).

س: هل المستخفّ بالمعصية كافرٌ؟ هل يكون الاستخفاف بالمعصية بمعنىٰ الاستهزاء؟

الجواب: إذا كان مرادك بالاستخفاف أنّه قد يتّبع هواه فيقع في المعصية مع علمه أنّها معصيةٌ وحرامٌ هذا المقدار لا يُكَفِّر كفرًا بواحًا؛ ولكن إذا سخر من النّصوص التي حرّمتْ هذه المعاصي بل لو سخر من النّصوص التي شُرِعَت بها السّنن يَكْفُر؛ ولكن لا نحكم علىٰ كلّ من وقع في المعصية بأنّه سخر من النّصوص أو استخفّ بها، إنّما زيّن له الشّيطان ونفسه الأمّارة بالسّوء فوقع، فتُرجىٰ له توبةٌ فلو مات علىٰ ذلك فأمره مفوّضٌ إلىٰ الله.

س: إنّ بعض الملتزمين قد يتراجعون وينتكسون -الله المستعان- فيتركون الالتزام فيقعون في المعاصي، ما النّصيحة؟

الجواب: النّصيحة أوّلًا: الدّعوة الصّالحة لهم أنْ يثبّتنا الله وإيّاهم وأن يهديَ قلوبنا، إلّا أنّنا ليس من شرط أنْ يكون الطّالب أو الشابّ سلفيًّا ملتزمًا ألّا تقع المعاصي منه، والمعاصي وقعت من بعض الصّحابة لكنّ الواجب المبّادرة، لا تكون المعصية والمخالفة صفة له إذا وقع وهَفَا، بَادَرَ بالتوبة، هذه هي الميزة، ميزة المؤمن «مَنْ سَرَّتْهُ حَسَنَاتُهُ وَسَاءَتْهَ سَيِّئَاتُهُ»[31] المؤمن قد يُسيء ويعصي، لكن يَسْتاء فيتوب فيبادر بالتّوبة.

س: ما هو رأيكم فيمن يذكر عن محنة الإمام أحمد ولَمْ يتطرق لموقفه رَحِمَهُ ٱللَّهُ من السّلطان؟

الجواب: لستُ أدري ماذا يقصد، الخلفاء الذين آذوه وعذّبوه كالمأمون الذي هو رأس الفتنة والمعتصم بالله والواثق بالله الذيْنِ تولّيَا تعذيبه وامتحانه، هل يقصد بأنّ بعض النّاس لا يبيّنون موقف هؤلاء؟ أو يقصد ما موقف الإمام من هؤلاء؟ يحتمل، علىٰ الاحتمال الأوّل ذكر المحنة يستلزم أن يذكر من امتحنه وعذّبه وكان يُربَّط ويرمىٰ بين يدي المعتصم فيُضرب رَحِمَهُ ٱللَّهُ ليقول بأنّ القرآن مخلوقٌ ولينفي الصّفات، فيصبر ويتحمّل، لكن لمّا جاء عهد المتوكّل علىٰ الله الخليفة العاشر من خلفاء بني العبّاس

(31) أخرجه أحمد (114) والتِّرمِذي(2165) والنَّسائي في الكبرىٰ (9181) وانظر الصحيحة (430 و 1116).

أُفْرِجَ عنه، وأُلغيت سياسة القول بخلق القرآن ونفي الصّفات، كانت هذه سياسة الدّولة من عهد المأمون إلىٰ عهد المتوكّل، هذا البيان مطلوبٌ، إن كان يريد هذا فهذا واضحٌ.

وإن كان يريد هل الإمام موقفه من هؤلاء كان يكفرهم؟ الجواب: لا، بل الإمام هو وغيره يدعون للسّلاطين ولو كانوا ظلمةً، بل ينتهزون الفرص، الأوقات التي يجدون أنّها أوقات الإجابة فيدعون لولاة الأمور أن يهديهم الله ويتوب عليهم ولو ظلموهم لا ينتقمون لأنفسهم بل يحرصون علىٰ نصحهم والدّعوة لهم.

س: ما حكم من سبّ الله ﷻ -يا سبحان الله- أو سبّ الدّين أو سبّ الرّسول ﷺ مع التّفصيل حيث أنّ هنالك فتوىٰ بأنّ مَن سبّ الله وإن تكرّر منه ذلك باستمرار طالما أنّه يُصلّي فهو فاسقٌ وليس بكافرٍ؟

الجواب: نحن في عصر العجائب وهذه الفتوىٰ من العجائب، إنْ كان المفتي مِن أهل العلم، كُفْرُ مَنْ سَبَّ الله ورسوله والدين الإسلامي محلّ إجماعٍ، لا نعلم خلافًا في ذلك أبدًا، قبل هذا المفتي، أهل العلم مجمعون علىٰ أنّ مَنْ سبّ الله يعتبر كافرًا كفرًا بواحًا ومن سبّ رسوله ﷺ أو الدّين الإسلاميّ أو سخر من الرّسول أو سخر من الدّين أو سخر من الله، فلننظر في المسألة نظرةً عقليّةً، الذي يسبّ الله أليس معناه يكره الله؟ شابٌ سألني البارحة أو قبل قال: لو سبّ الله في حالة غضبٍ، ما الحكم؟

الجواب: غَضِبَ علىٰ مَنْ؟! يعني غضب علىٰ الله فسبّه؟ وأراد الشابّ أن يقيس -لعلّه دارسٌ للفقه- علىٰ طلاق الغضبان، الجواب: هذا قياسٌ مع الفارق، غضب زيدٌ علىٰ امرأته لسوء عشرتها غضبًا شديدًا حتّىٰ فَقَدَ الشّعور فطلّقها، لا يقع الطّلاق؛ لكن تعالوا هل تتصوّرون عبدًا من عبيد الله يغضب علىٰ ربّ العالمين فيسبّه؟ يسبّ الله! هل تسبّ من تحبه؟! لا، إنّما تسبّ من تبغضه، هنا سرّ الكفر؛ لأنه يُبْغِضُ الله، كره اللهَ حتّىٰ سبّه! إذا كره الله كَفَرَ، لأنّ كراهة الله خرابُ القلب -حقيقة الكفر خراب القلب- ومن خرب قلبه وكَرِهَ خالقه وسبّ الله لا يجوز لمسلمٍ أن يشكّ في كفره ومَنْ يشكّ في كفره فلم يُكَفِّرْه فَيَكْفُر هو الثّاني. انظر إلىٰ المسألة بعين البصيرة، محبّة الله روح الإيمان، ومحبّة رسول الله ﷺ شعبةٌ عظيمةٌ من

شعب الإيمان، كيف يجرؤ مسلمٌ أن يسبّ رسول الله ﷺ؟! رسول الله الذي أثنىٰ عليه أبو طالبٍ وهو لم يؤمنْ به وأثنىٰ علىٰ دينه -يا سبحان الله- أبو طالب يقول وهو يعترف بصحة دين محمّد ﷺ[32]:

وَلقد علمت بأن دين محمدٍ من خَيرِ أَديانِ البَرِيَّةِ دينا
لَولا المَلامَةُ أَو حِذارٌ لَوَجَدتَني سَمحًا بِذاكَ مُبينا

مَنَعَ أبا طالبٍ من الإيمان خوفُ المسبّة وخوفُ الملامة؛ ولكنه يُقَدِّرُ رسول الله ﷺ، يستميت في الدفاع عنه فآزره حتىٰ بلغ رسالة ربه.

يأتي في هذا الوقت يفتي مفتٍ: ولو سبّ الله ولو سبّ رسول الله ﷺ طالما يصلّي فهو فاسقٌ ليس بكافرٍ!، وهل صلاته تُقبل؟! وهل صلاة المرتدّ تُقبل؟! أليس من شرط قبول الأعمال الإيمان؟ هذا ليس بمؤمنٍ، لذلك لا ينبغي أن ننخدع إذا هفا عالم هفوةً، لكلّ جوادٍ كبوةٌ ولكلّ عالمٍ هفوةٌ، ولكنها زلةٌ، زَلّةُ العالِم زلّةُ العالَم وخصوصًا في هذا الوقت، هذه الأشرطة أصبحت تنقل كلّ شيءٍ من خيرٍ وشرٍّ إلىٰ العالم في الدّاخل والخارج. كم يكون عيبًا وعارًا أن يُنقل من عالمٍ سنّيٍّ فتوىٰ يُفتي فيها بأنّ من سبّ الله ورسوله ليس بكافرٍ، وقد اجمع العلماء قبله علىٰ ذلك وسرُّ الكفر واضحٌ كما علمتم لأنّ سرّ ذلك خراب القلب فنسأل الله لنا ولكم الثّبات فالمسألة خطيرةٌ ومن يتصدّون للفتوىٰ عليهم أن يراقبوا الله ربّ العالمين وإلّا فموقفنا خطيرٌ.

---

(32) انظر البداية والنهاية لابن كثير (3/ 42)